الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 22 آذار 2025
العدد 5457 السنة التاسعة عشرة
Samedi 22 Mars 2025 no 5457 19ème année

24 صفحة
100000 ليرة

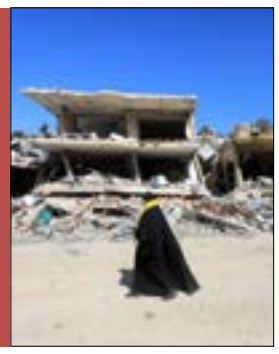

كلمات
بحثاً عن قاسم من الهرمل إلى يارون
يوسف الخازن... الذي رأى إسرائيل

أحوال الناس

سياسة وأطماع تؤخّر رفع الركام في الجنوب
2

4,1 مليارات دولار ثمن مشتقات نفطية
5

نادٍ للضباط مخالف للقوانين في محمية صور
6

مشروع أميركي لاستبدال «اليونيفل» بـ«أندوف»
أورتاغوس تضغط: متى تجهزون للمفاوضات؟
3

غزّة
سباق بين الوساطات والتصعيد
7 - 9

(أ ف ب)

قضية

عون وبري وسلام مسؤولون
من يلعب بأعصاب الجنوبيين ويعيق ملف الإعمار؟

كما في كل ما يتعلق بالحرب مع العدو، لا يمكن التعامل ببساطة مع ملف إزالة الركام الذي خلّفه العدوان. والمشكلة لا تتعلق فقط بالمشرفين على القرارات الكبيرة في الحكومة، بل أيضاً بالأجهزة المعنية بالتنفيذ، من مجالس وهيئات وبلديات، علماً أن المشكلة في حالة الجنوب تبدو مضاعفة بعدما نال النصيب الأكبر من العدوان، وحيث لحق التدمير شبه التام بشريط من قرى الحافة الأمامية. إذ تقدّر الإحصاءات معدّل الدمار الكلي في هذه القرى بـ 75%، ولا يقتصر على المنازل والمنشآت، بل أتت عمليات التجريف التي قام بها جيش الاحتلال على كل البنى التحتية من شبكات كهرباء ومياه واتصالات، ولم يوفّر المراكز البلدية والصحية والدينية، مع تدمير ممنهج للقطاع الزراعي، عبر جرف ملايين الأمتار المزروعة بالأشجار المثمرة، وحرق آلاف الدونمات بالقنابل الفوسفورية. بعد توقّف الحرب، كان يُفترض أن تباشر الجهات الرسمية المعنية عملية رفع الأنقاض. صحيح أن الانسحاب من القرى الأمامية تأخّر أكثر من ثمانين يوماً، لكنّ العدو خرج خلال هذه الفترة نهائياً من قرى كثيرة بعيدة عن الحافة، لحقت بها أيضاً أضرار كبيرة. وفيما كانت الفرق التابعة لحزب الله تنجز بسرعة قياسية عمليات المسح ودفع التعويضات العاجلة من بدلات إيواء وترميم الأضرار الجزئية، أثرت الدولة التقشّف في عملية تُعدّ في الدول الطبيعية عملية وطنية. وبعد صراع، خُصّصت بضعة ملايين من الدولارات أوكل إلى مجلس الجنوب إدارتها في عملية رفع الأنقاض.

ولأن القرار السياسي يسيطر على عقل من بيده الأمر، ولأن التريّث من الحرب يسيطر على عقول متعهّدين ومقاولين ومنتفعين، دخلت العملية في روتين وبيروقراطية قاتليْن. واستعاد الناس ما جرى عام 2006، عندما وصلت كلفة المتر المربع من الركام إلى 12 دولاراً، وهو رقم خيالي، وحصلت سرقات كبيرة استفاد منها كثيرون لم يبادروا اليوم إلى أي خطوة تجاه أهلهم.

عندما تقرّر إنجاز الملف، تمّ اللجوء من جديد إلى فكرة المتعهد الذي غالباً لا قدرة له على تنفيذ المهمة مباشرة، فيلجأ بدوره إلى التلزيم لمتعهّدين من الباطن، ويبحث هؤلاء عن أصحاب شاحنات وجرافات من أبناء القرى للقيام بالمهمة. في هذه الحالة، يذهب نصف الأموال إلى الوسطاء، بينما لا يكفي نصف المبلغ لتنفيذ المهمة، علماً أن تجارب عمل البلديات، أو أغلبها، تؤكد قدرتها على القيام بالمهمة. ولو حدث ذلك لتم أولاً تجاوز مبدأ الربح، لأنها جهة عامة لا تبغي الربح. ولكانت اتّخذت كل الإجراءات لتسريع العملية، لجهة اختيار المكبات وتحديد الطرقات المفترض سلوكها. إضافة إلى وضع الأولويات ربطاً بأن هناك من يريدون المباشرة بإعادة بناء منازلهم من دون انتظار خطة الدولة للإعمار، ولا حتى التعويضات من حزب الله. إلا أن الدولة، من رئاسة الحكومة وهيئة الشراء العام ومجلس الجنوب، إلى المتعهدين أنفسهم، أصرّت على إدارة الأمر بطريقة مختلفة، ما أخّر العملية ويتوقّع أن يؤخّرها لشهور طويلة، علماً أن غالبية القرى البعيدة عن الحافة الأمامية لا تحتاج إلى أكثر من شهر لإزالة الركام، فيما انقضت أربعة أشهر من دون إنجاز رفع الركام في أي بلدة في كل جنوب لبنان.

وإذا كان حزب الله في موقع المحرج من أن يخوض معركة سياسية ضد أجهزة الدولة لتسريع العملية، فإن المسؤولية تقع على عاتق من يمكنه التدخل لتسريع الأمر. وفي هذه الحالة، يجب التوجه مباشرة إلى الرئيس نبيه بري لكونه يملك نفوذاً كبيراً، ليس على مجلس الجنوب فقط، بل على الشركاء في إدارة البلاد، من رئيسي الجمهورية والحكومة. كذلك يتحمّل رئيس الحكومة نواف سلام المسؤولية الرسمية الأساسية، إذ لا يوجد في مكتبه موظف يذكّره كل يوم بأن هناك مهمة رئيسية لا تحتاج منه إلا إلى اتصالات حثّ وسؤال الجهات المعنية عن سير العمل. أما رئيس الجمهورية، فهو يعرف أن الجيش اللبناني، برغم كل أوضاعه، قادر على لعب دور مباشر في هذه العملية، ويمكنه المساعدة في تسريع العملية.

عدا ذلك، يتحوّل الجميع إلى شركاء في إطالة أمد العدوان وآثاره!

مصالح وأطماع تؤخّر رفع الركام في الجنوب

فؤاد يزبي

رغم مرور شهر على إنهاء هيئة الشراء العام عملية تلزيم رفع الركام في محافظتي النبطية ولبنان الجنوبي، لا يزال الردم في مكانه في مدن الجنوب وقراه، ولا يُتوقع أن تتحرك الجرافات والشاحنات قريباً. وفي حين تشير المعطيات إلى أن نسبة رفع الردم في الضاحية الجنوبية وصلت إلى 50%، تتحكّم الإجراءات الإدارية الحكومية البطيئة بحياة الجنوبيين، وتمنعهم من إطلاق ورشة إعادة الإعمار، وتصحح دراسة الأثر البيئي على سبيل المثال أكثر أهمية من تسريع عودة الناس إلى بيوتهم، وتتحوّل بدلات رفع الركام إلى أرقام مقدّسة غير قابلة للتعديل. وتترك الحكومة بالتالي مواطنيها فريسةً للمتعهّدين وتجّار الردم الذين يطالبون بزيادة بدلات رفع الأنقاض، فيعطّلون لأشهر المناقصات لتحقيق أرباح إضافية. فبدلاً من التلزيم في 13 كانون الثاني الماضي «لفوا على بعضهم»، وقرّروا أنّ السعر المطروح لا يناسبهم، وحاولوا فرض كلفة 6,6 دولارات مقابل رفع كلّ متر مكعب من الردم.

في 17 شباط الماضي، تمكّنت هيئة الشراء العام من تلزيم متعهّدين اثنَين إزالة الركام من مدن وقرى محافظتي النبطية ولبنان الجنوبي، وهما «مؤسسة بيتا للهندسة والمقاولات» و«شركة المهندس إيلي نعيم معلوف EMC». وفي تفاصيل التلزيمات، فازت «بيتا» بـ4 مناقصات من أصل 5، وستتولى رفع الركام من قرى أقضية جزين، صيدا، النبطية، حاصبيا، والبقاع الغربي، وقرى قضاء صور، وقرى قضاء مرجعيون، ومدينتي صور والنبطية. وستتولى EMC رفع الركام من قرى قضاء بنت جبيل. وفي المقابل، سيتقاضى المتعهدون 5,01 دولارات عن رفع كل متر مكعب من الردم من مدينتي صور والنبطية، و3,65 دولارات عن كلّ متر مكعب من الركام في القرى.

هذا على الورق. أما على الأرض، وبدل المباشرة في أعمال رفع الركام، فإن الحكومة تتلهّى بأهالي الجنوب، وتلزم مجلس الجنوب بعدم إعطاء الموافقة على إطلاق الأعمال قبل نتائج دراسات الأثر البيئي التي يجب أن توافق عليها وزارتا الاقتصاد والبيئة، رغم تأمين المجلس 20 موقعاً لاستخدامها كمكبّات للردم. بالتالي، «لم نبدأ العمل في الجنوب حتى الآن»، يقول رئيس مجلس الجنوب هاشم حيدر. وما يؤخّر الانطلاقة هو «الملفات البيئية والدراسات التي يجب أن تُقدّم للحكومة».

خلال الوقت الضائع، تقوم البلديات الجنوبية بإكمال الملفات وإحصاء الأضرار، وإتمام الإجراءات الإدارية قبل انطلاق عملية رفع الردم. في صور مثلاً «سلكت الإجراءات طريقها، وتمّ إحصاء الأبنية ومساحاتها، ووقّع عدد كبير من أصحاب الأملاك على أوراق السماح لإزالة الركام»، بحسب رئيس بلدية صور حسن دبوق الذي توقّع انطلاق العمليات في آخر يوم إثنين في آذار الجاري. في المقابل «أنهت بلدية بنت جبيل الكشف على الأبنية المدمّرة تماماً، وباشرت أول أمس عملية إزالة الركام من مداخل المدينة باتجاه السوق»، بحسب رئيس البلدية عفيف بزي، مشيراً إلى تخصيص مكب للردم في خراج بنت جبيل قرب رميش. وأوضح أن هناك 230 مبنى مدمّراً كلّياً في المدينة، تحتوي على 300 وحدة سكنية. وفي حال عدم عرقلة العمل، توقّع بزي أن تحتاج عملية رفع الركام إلى شهرين من العمل.

وفي غياب أي تحرّك حقيقي على الأرض للمباشرة بعملية شاملة لرفع الردم، يقوم الأهالي في عدد من القرى مثل الخيام وشقرا وبرعشيت بالاتفاق مع متعهّدين محلّيين من أبناء القرى لرفع ركام بيوتهم، مقابل حصول المتعهد على نتاج ركام المنزل من معادن مثل الحديد والألمنيوم. وفي بعض الأحيان يدفع الأهالي مبالغ إضافية، وصلت في بعض الأحيان إلى ألف دولار، بحسب مصادر بلدية.

وما يزيد من بطء عملية رفع الركام عدم وجود معدّات كافية لدى المتعهّدين الفائزين، لذا «يلجأ هؤلاء للتعاقد مع مقاولين محلّيين في القرى في محاولة لتسريع وتيرة العمل، وعدم أخذ فرص العمل من طريق أهل القرى وفقاً لتوصية مجلس الجنوب»، بحسب رئيس اتحاد بلديات بنت جبيل رضا عاشور. وفي المقابل يدفع المتعهّد الفائز في مناقصة هيئة الشراء العام دولاراً واحداً للمقاول المحلّي بدل رفع كلّ متر مكعب من الركام، مع الحصول على ناتج الردم من معادن.

> خلال الوقت الضائع، تقوم البلديات الجنوبية بإكمال الملفات وإحصاء الأضرار وإتمام الإجراءات الإدارية

15.4

مليون دولار هي قيمة 5 مناقصات لرفع الركام من مناطق عمل مجلس الجنوب في محافظتي النبطية ولبنان الجنوبي.

ولكن «لا يجد أهالي القرى الاتفاق مرضياً» يقول عاشور. ويعيدون السبب إلى «عدم وجود كميات وافية من المعادن في البيوت القروية»، ولحلّ المشكلة «يوكل المقاول المحلّي برفع ركام عدد أكبر من البيوت». ورغم الاتفاقات، لا أعمال رفع ردم حقيقية حتى الآن مع بعض الاستثناءات، مثل الخيام و12 قرية أخرى، حيث بوشرت عملية رفع الركام وفقاً للاتفاقات بين «بيتا» والمقاولين المحلّيين.

وفي إشارة إلى غياب أجهزة الدولة المركزية ووزاراتها تماماً عن ساحة الجنوب، يلفت عاشور إلى أنّه «حتى أمور المكبات غير راكبة». ولحل المشكلة، «تحاول البلديات تأمين مكبات في نطاقها البلدي، وتستغل الفرصة لاستصلاح عدد من الأراضي، وبالتالي تخفّف كلفة النقل على المتعهّدين». إلا أنّ عدداً من البلديات اشترط تحسين الدفع للمقاولين المحلّيين مقابل تأمين مكبّات قريبة.

(مروان بو حيدر)

مناقصات رفع الركام في محافظتي النبطية ولبنان الجنوبي

المناقصة	عدد العروض	الفائز	كميات الردم (بالأمتار المكعبة)	السعر (بمليارات الليرات)
قرى أقضية جزين، صيدا، النبطية، حاصبيا والبقاع الغربي	3	مؤسسة بيتا للهندسة والمقاولات	550000	125,8
قرى قضاء بنت جبيل	1	شركة المهندس إيلي نعيم معلوف EMC	200000	71,8
قرى قضاء صور	1	مؤسسة بيتا للهندسة والمقاولات	1300000	343
قرى قضاء مرجعيون	1	مؤسسة بيتا للهندسة والمقاولات	1500000	411,6
مدينتي النبطية وصور	2	مؤسسة بيتا للهندسة والمقاولات	1800000	71,7
المجموع العام			5350000	1023,9

المصدر: هيئة الشراء العام

البلديات ورفع الركام

تلعب البلديات دور صلة الوصل بين أصحاب المنازل المدمّرة أو المتضرّرة ومجلس الجنوب. فتقوم بتحصيل موافقة أصحاب المنزل أو المبنى المدمّر لرفع الركام، ومن ثمّ تتولى عملية احتساب الأمتار المكعّبة من الردم المرفوع من موقع معيّن. ويتوقّع المسؤولون في البلديات أن لا تتجاوز المدّة اللازمة لإزالة الركام من كامل الجنوب شهراً واحداً في حال كان العمل جدياً.

المشهد السياسي

واشنطن تحضّر لإنهاء مهمة «اليونيفل» في الجنوب
أورتاغوس تضغط: متى تجهزون للمفاوضات؟

فوقَ الدمار ودماء الشهداء، تُصرّ واشنطن على فرض مراحل تدريجية تصل في نهاية المطاف إلى ضمّ لبنان إلى اتفاقيات التطبيع مع كيان الاحتلال. ويحرّر الوسطاء والموفدون الغربيون والعرب، المطلب القديم بالتوصل إلى سلام بين لبنان وكيان الاحتلال.

مع تبدّل الظروف اليوم، يعتقد الأميركيون، كما العدو، بأن هناك فرصة لتنفيذ المشروع. وينطلقون من أن الحرب أجهزت على حزب الله، وأن الحاجة إلى إعادة الإعمار تفرض وضع شروط على لبنان لا تقتصر على «الإصلاحات في الدولة»، بل تشمل «خطوات سياسية تبدأ بالشروع في عملية عزل حزب الله وكل من هو مرتبط به، وإبعاده بصورة تامة عن الدولة تمهيداً لنزع سلاحه في كل لبنان». ويريد الأميركيون أن تبدأ العملية من خلال «المجموعات الثلاث التي دعت إلى تشكيلها نائبة المبعوث الخاص للرئيس الأميركي للشرق الأوسط، مورغان أورتاغوس، والمخصصة لإطلاق الأسرى اللبنانيين لدى إسرائيل، والانسحاب من الجنوب، وتحديد الحدود الدولية بين البلدين على أن تشمل النقاط الـ13 الواقعة على الخط الأزرق»، لتنتهي في نهاية المطاف بمفاوضات مباشرة حول التطبيع.

واليوم يشترك الإسرائيليون والأميركيون ومعهم بعض العرب في تكرار سيناريو عامي 82 و83، من خلال العمل على جبهتين: عسكرية حيث يواصل العدو بالنار تنفيذ حزام أمني في الجنوب وتوسيعه إلى عمق أوسع من كيلومترين، إضافة إلى منطقة عازلة تحيط بالنقاط التي لا تزال تحت الاحتلال التي يستخدمها جنود العدو للوصول إلى هذه النقاط. أما الجانب السياسي من الحملة، فيتمثّل بالضغط على السلطة السياسية وتجميد أي مساعدة أياً كان شكلها قبل الرضوخ والقبول بهذه الشروط.

هذه المطالب والشروط كانت موضع بحث في الاجتماع الذي عُقد أول أمس بين الرؤساء جوزيف عون ونبيه بري ونواف سلام، قبل الإفطار الرمضاني في القصر الجمهوري، من دون التوصل إلى أي اتفاق، نتيجة عجز السلطة عن مواجهة الضغوط الأميركية. وقالت مصادر مطّلعة لـ«الأخبار» إن «هناك إرباكاً واضحاً لدى السلطة التي تصلها كل يوم أو يومين اتصالات من أورتاغوس تسأل فيها أين أصبحت الاستعدادات، فيما يتهرّب عون من حمل المسؤولية وحده، ويعتبر بري أن السلطة التنفيذية هي من عليها أن تتعامل مع هذه المطالب وتتخذ قراراً في هذا الشأن». ورغم المعلومات التي تحدّثت عن وجود تفاهم حول «اعتماد آلية للتفاوض مع إسرائيل، برعاية القوات الدولية، وبإشراف هيئة الرقابة الدولية المولجة بتطبيق الاتفاق»، إلا أن الهجمة الأميركية تضع لبنان أمام منعطف خطير، وتجعل الأثمان التي سيدفعها لبنان كبيرة جداً.

(علي حشيشو)

وفي هذا الإطار، قالت المصادر إن «السلطة الجديدة التي أتى بها الأميركيون بعد الحرب قدّمت التزامات في هذا الشأن، لكنها تعرف أن تطبيق هذه الالتزامات دونه عقبات كبيرة، أخطرها الذهاب إلى صدام أهلي، وانقسام الجيش في حال فكّر أحد في وضعه في مواجهة مع المقاومة وبيئتها وجمهورها». وفيما رجّحت المصادر أن يبادر أهل الحكم إلى صياغة ملتوية للتنازلات لعدم إغضاب واشنطن والشروع في تأليف هذه اللجان، فإن ذلك لن يكون كافياً للأميركيين والإسرائيليين لأن ما يريدونه أكبر من ذلك بكثير». وتتحدّث المصادر عن «ترتيبات تحضّر لها واشنطن، وقد سمع مسؤولون لبنانيون من دبلوماسيين فرنسيين أن الولايات المتحدة تريد تقليص عديد اليونيفل في جنوب لبنان إلى أقل من النصف، خصوصاً أنها هي من تدفع نصف موازنتهم، وتعتبر أن لا حاجة إليهم في الفترة المقبلة». وكشفت المصادر أن «الفكرة البديلة، كما قال الفرنسيون، هي إبقاء قوة صغيرة تشبه قوة أندوف في الجولان، حيث يكون هناك مراقبون لعمل اللجان التي ستتولى مراقبة الوضع على الحدود، في موازاة عمل اللجان الثلاث». وكشفت المصادر أن «هذا الأمر لُمح إليه رئيس لجنة الإشراف الخماسية الجنرال الأميركي جاسبر جيفرز عندما أشار في أحد الاجتماعات إلى أن مهمة اللجنة «محدودة ومؤقّتة».

> السعودية ترفض إلغاء منع السفر إلى لبنان وتطلب إزالة صور حزب الله عن طريق المطار

ولا تبدو المملكة العربية السعودية بعيدة عن هذه الضغوط مع تولّيها الحصار الاقتصادي، ونقل زوار للرياض عنها أنها «لن تدفع فلساً واحداً في إعادة الإعمار». وتؤكد مصادر مطّلعة أن «الرئيس عون سمع هذا الكلام بشكل غير مباشر خلال لقائه ولي العهد السعودي محمد بن سلمان مطلع هذا الشهر»، كما سمع «رفضاً سعودياً لرفع الحظر عن سفر السعوديين إلى بيروت، إذ سأل ابن سلمان عون ما إذا كان يضمن سلامة المواطنين السعوديين على طريق المطار في بيروت المليئة بصور لقادة من حزب الله وإيران»، قائلاً: «على الأقل أزيلوا الصور!» وهو مطلب نقله عون إلى بري بعد عودته سائلاً عن «إمكانية تخفيف الصور على طول الطريق».

وعلمت «الأخبار» أن عون سيطلب مساعدة فرنسية، خلال زيارته لباريس في 28 الجاري، لإقناع الرياض بالعدول عن موقفها والمباشرة في مساعدة لبنان. إلا أن كل التوقعات تشير إلى أن هذه المساعي لن تلقى نجاحاً.

(الأخبار)

توضيح

مسؤول مصري لـ«الأخبار»: نرفض تهجير الفلسطينيين

تلقّت «الأخبار» توضيحاً من مسؤول رفيع في الحكومة المصرية، رداً على ما ورد في تقرير للزميل إبراهيم الأمين أمس، حول موافقة مصرية على إقامة مدينة في سيناء لاستقبال نصف مليون من أبناء غزة بشكل مؤقّت. وأكّد المسؤول أن «مصر تنفي التقرير الذي يفيد بقبولها ترحيل نصف مليون من سكان غزة، وموقفها ثابت، وهي ترفض بشكل قاطع أي حديث عن تهجير وإبعاد لأهل غزة عن أراضيهم لأن ذلك يشكّل تصفية للقضية الفلسطينية، وهو ما لا تنفك مصر تؤكّده لكلّ الأطراف المعنية».

تقرير

كرامي تفتتح «الإصلاح» بمخالفة القانون

فاتن الحاج

يمكن التسليم جدلاً بأن ترفض وزيرة التربية ريما كرامي محاسبة موظفين في وزارتها عن مخالفات وارتكابات سابقة بذريعة أن لا علاقة لها بماضيهم، وأنها ستسائلهم منذ اللحظة التي تتولى فيها المسؤولية، لكن كيف يمكن أن تبدأ كرامي عهد «الإصلاح» في الوزارة باقتراف مخالفة قانونية عبر تكليف الرئيسة السابقة لدائرة الامتحانات الرسمية بالتكليف، وأمينة السر السابقة للجنة المعادلات في التعليم ما قبل الجامعي بالتكليف، أمل شعبان بمنصب «رئيسة للديوان في مديرية التعليم العالي»، وهي وظيفة غير موجودة لغياب الهيكلية في المديرية، وتحتاج إلى قانون في مجلس النواب لإنشائها. أضف إلى ذلك أن شعبان نفسها أخلي سبيلها بكفالة، ولا تزال حتى الآن متهمة بقضية تلقّي رشى مقابل تسريع تسليم شهادات للطلاب العراقيين، لكون النيابة العامة المالية لا تزال مدّعية، والهيئة الاتهامية لم تبت، بعد، في قرار منع المحاكمة الصادر عن قاضي التحقيق بسبب عدم كفاية الأدلة.

> **تعيين أمل شعبان في منصب غير موجود رغم إخلاء سبيلها بكفالة**

لم يأت قرار كرامي في سياق ردّ الاعتبار لشعبان وإعادتها إلى المسؤوليتين اللتين كانت تتولاهما قبل الاتهام، وهذا حق لها إذا حصلت على صك البراءة فعلاً، بل جاء في إطار استحداث وظيفة جديدة كلياً، في مخالفة صريحة لأحكام المادة 5 من المرسوم الاشتراعي الرقم 111 بتاريخ 1959/6/12، والتي استند إليها قرار التكليف، وتتناول توصيف مهام الديوان في أي وزارة من الوزارات وليس فقط في وزارة التربية، إذ إن إنشاء الديوان الذي يعادل الفئة الثانية يحتاج، بحسب المادة الثانية من المرسوم الاشتراعي، إلى قانون في مجلس النواب. وتنص المادة على الآتي: «تتألف كل وزارة من مديرية عامة واحدة أو أكثر، وتُقسم المديريات العامة إلى مديريات ومصالح والمصالح والمديريات إلى دوائر وأقسام، وتُحدث المديريات العامة والمديريات والمصالح وتُعدّل وتُلغى بقانون، وتُحدث وتُعدل وتُلغى الدوائر والأقسام وتُحدد شروط التعيين الخاصة بوظائفها، بمراسيم تُتخذ في مجلس الوزراء، بناءً على اقتراح الوزير المختص وبعد موافقة مجلس الخدمة المدنية». فيما تنص المادة الثالثة على أنه: «تُحدد ملاكات المديريات العامة والمديريات والمصالح وتُعدّل بقانون خاص...».

الديوان هو بمثابة وظيفة فئة ثانية ويحتاج إلى قانون، إذ ليست في مديرية التعليم العالي هيكلية، فلا أقسام ولا دوائر، بل هناك فقط أمانات سر مثل أمانة سر مجلس التعليم العالي، أمانة سر اللجنة الفنية، أمانة سر لجنة المعادلات والكولوكيوم وأمانة سر لجنة الهندسة، والقلم. ومع أن للوزير سلطة استنسابية بالنقل، بموجب المادة 43 من المرسوم الاشتراعي 112 /1959 (نظام الموظفين) بناءً على مقتضيات المصلحة العامة، لكن يجب أن يكون القرار معلّلاً، وما يحصل هنا أن النقل يحصل إلى وظيفة غير موجودة!

(هيثم الموسوي)

علم وخبر

سلام في ضيافة «رئيس حكومة صيدا»

في إطار الفعاليات الثقافية والسياحية التي تحييها مدينة صيدا خلال شهر رمضان تحت شعار «صيدا مدينة رمضانية»، يحل رئيس الحكومة نواف سلام ضيفاً على المدينة الليلة، بصفته الشخصية والرسمية مع عائلته وعدد من الوزراء، للتجوّل في أزقة صيدا القديمة والسهر في مقاهيها وزيارة معالمها التراثية والثقافية، بين موعدي الأفطار والسحور.

وقد اعتادت صيدا استضافة كبار المسؤولين في هذه المناسبة في السنوات الماضية، بمسعى من النائبة بهية الحريري والبلديات المحسوبة عليها. غير أن زيارة سلام الليلة تسقط رأس زوجته السفيرة سحر بعاصيري، تأتي بعد تنسيق بين نائبي المدينة أسامة سعد وعبد الرحمن البزري وجمعيات أهلية ومنظمات غير حكومية، مع دور خاص لوزير الثقافة غسان سلامة الذي تلقى الدعوة من رئيس «جمعية التنمية للإنسان والبيئة» فضل الله حسونة، واقترح على الأخير دعوة رئيس الحكومة. وقد رجب سلام بتلبية الدعوة طالباً أن يتم التواصل مع سعد والبزري اللذين بادرا مع رئيس البلدية حازم بديع إلى تنسيق برنامج الزيارة لناحية المواعيد والضيوف والمواقع التي سيزورها سلام، و«السهرة» في مقهى باب السراي الذي تديره جمعية حسونة. ويتصرف حسونة منذ وقت غير قصير بوصفه «رئيس حكومة» المدينة، في ظل ضعف بلدية المدينة، مع توسع نشاطاته ومشاريعه وتوظيفه لعدد كبير من الصيداويين في مشاريع تموّلها دول غربية وصناديق أجنبية. وهو يملك شبكة علاقات واسعة مع كل القوى السياسية والفعاليات، ويقدّم لها خدمات خصوصاً في مجال التوظيف.

نحو تحالف طاشناقي - قواتي

حملت زيارة النائب هاغوب بقرادونيان الى معراب قبل ايام طابعاً انتخابياً حيث دار البحث في امكانية التحالف في الانتخابات البلدية في المناطق التي لحزبي الطاشناق و«القوات اللبنانية» وجود فيها، على أن يكون الأمر مقدمة لتحالف أكبر على كل المستويات.

توافقات بلدية في المتن الشمالي

بدأت معالم المعركة البلدية تتكشف في عدد من بلدات المتن الشمالي ولا سيما الأساسية منها. وكان لافتاً اتفاق كل الأحزاب على دعم رئيسي بلديتي الدكوانة أنطوان شختورة وسن الفيل نبيل كحالة المحسوبَين على النائب الراحل ميشال المر. ورغم أن كحالة يواجه دعاوى قضائية، فقد حضت القوى المسيحية النظر عن ذلك لاعتبارات تتعلق بالانتخابات النيابية. وعلى المنوال نفسه، يسعى رئيس بلدية أنطلياس إيلي بو جودة أيضاً إلى تأمين إجماع عابر للأحزاب حوله، رغم مواجهته ملفات هدر وتلاعب بالتخطيطات والتعدي على الأملاك العامة. وينسحب توافق الكتائب مع «القوات اللبنانية» والتيار الوطني الحر على جورج زرد أبو جودة لرئاسة بلدية جل الديب، كما يوجد اتفاق مع الطاشناق على الإبقاء على رئيس بلدية برج حمود ماردبك بوغوصيان، إضافة إلى اتفاق مبدئي بين «القوات» والكتائب على الإبقاء على رئيس بلدية بيت مري روي أبو شديد، بينما لم يحسم التيار الوطني الحر وآل المر موقفهما بعد.

أما في بسكنتا، فقد تعثّر التوافق بين «القوات» والتيار الوطني والحزب السوري القومي الاجتماعي وآل المر على ترشيح رجل الأعمال طوني الهراوي لرئاسة البلدية، بسبب معارضة بعض العائلات التي أعلنت انضمامها إلى جبهة المرشح طانيوس غانم المدعوم من حزب الكتائب.

استياء معراب من المختارة

نقل عن معراب استياؤها من الترحيب الحار الذي حظي به رئيس حزب الكتائب النائب سامي الجميل لدى مشاركته في ذكرى اغتيال الشهيد كمال جنبلاط في المختارة الأحد الماضي، وإجلاسه بين أفراد العائلة الجنبلاطية، في مقابل برودة في التعامل مع ممثلي «القوات اللبنانية» النائبين جورج عدوان وغسان حاصباني.

فيتوات تغييرية على التعيينات القضائية

افتتح بعض نواب التغيير ممن يحيطون برئيس الحكومة نواف سلام معركة التعيينات القضائية بإشهار فيتوات في وجه مرشحين «لا يتوافقون مع معايير العهد الجديد»، خصوصاً في ما يتعلق بمركز المدعي العام المالي الذي سيخلف القاضي علي إبراهيم بعد تقاعده الشهر المقبل. وأبدى هؤلاء تحفظهم على أحد المرشحين للمنصب القاضي ماهر شعيتو لاستفادته من برنامج دعم لقرضين سكنيين من مصرفين بقيمة تتجاوز 2,2 مليون دولار بطريقة اعتبرت مخالفة للقانون.

حجم استيراد البنزين يرتبط بغياب سياسة للنقل العام (هيثم الموسوي)

تقرير

فاتورة لبنان النفطية: 4,1 مليارات دولار

ماهر سلامة

شكّلت فاتورة لبنان النفطية نحو 25% من كلفة الاستيراد في لبنان عام 2024، بحسب أرقام الجمارك، ما يجعلها من أهم مصادر العجز في الميزان التجاري.

ومعلوم أن السلع النفطية من السلع الحيوية والأساسية في أي اقتصاد، وتُستخدم في مجالات إنتاج الطاقة والنقل والصناعة وغيرها. وبما أن تذهب إلى قطاع الطاقة الذي يستهلك المازوت والفيول بشكل أساسي. فمولّدات الأحياء هي المستهلك الأكبر للمازوت، إلى جانب بعض معامل الكهرباء مثل الزهراني ودير عمار وصور وبعلبك. واستورد لبنان عام 2024 نحو 2,9 مليون طن من هذه المادّة النفطية بكلفة 2,4 مليار دولار، بزيادة 4% عن عام 2023، مع انخفاض سعر استيراد الطن من 917 دولاراً إلى 823 دولاراً. وبالمقارنة مع معدّل الاستيراد في السنوات التي تلت الانهيار (2020 - 2023)، تُظهر الأرقام تراجع استيراد الفيول بنحو 10%، مع معدّل استيراد سنوي للمازوت بنحو 3,2 ملايين طن، علماً أن سعر المحروقات كان مدعوماً بين عام 2020 وصيف 2021، وهو عامل أثّر على حجم الاستيراد بشكل إيجابي (كمّاً).

> **زيادة إنتاج الكهرباء ستنعكس بشكل مؤكّد راجعاً في الاستيراد**

الجزء الأكبر من المازوت يذهب إلى مولّدات الأحياء، كما في سنوات ما قبل الأزمة، إذ إن كهرباء الدولة لم تكن تغطي أكثر من 12 ساعة يومياً. وبعد الأزمة زادت حصّة المولّدات من استهلاك المازوت، مع انخفاض ساعات تغطية كهرباء الدولة إلى ما بين ساعتين وأربع ساعات يومياً (وهو ساعات في بعض الفترات). وتجدر الإشارة إلى أن إنتاج الكهرباء في المعامل الحرارية أقل كلفة من إنتاجها عبر مولّدات الأحياء، بسبب استهلاكها كمية أقل من المحروقات، ولا سيما المازوت، ما يعني أن زيادة إنتاج الكهرباء تنعكس بشكل مؤكد تراجعاً في الاستيراد، ما يمكن أن يوفّر نحو 1,2 مليار دولار سنوياً. وإذا ما عملت الدولة على زيادة القدرة الإنتاجية لتصبح قادرة على تغطية 24 ساعة يومياً، فسيرتفع الوفر في الاستيراد وتنخفض الفاتورة النفطية بشكل ملحوظ.

أما بالنسبة إلى الفيول، فقد استورد السوق اللبناني نحو 62 ألف طن عام 2024 بقيمة 37 مليون دولار فقط. وانخفض حجم الاستيراد بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة، وبلغ في عام 2020 نحو 1,4 مليون طن، ما يعني أنه بين عامي 2020 و2024 انخفض حجم الاستيراد بنسبة 96%. ويعود هذا بشكل أساسي إلى انخفاض تغذية كهرباء الدولة، إذ يعتمد معملا الجية والزوق اللذان توقّفا في السنوات الأخيرة عن الإنتاج، على الفيول لإنتاج الكهرباء.

كذلك يستحوذ قطاع النقل على حصّة وازنة من الفاتورة النفطية. فقد استورد السوق اللبناني في عام 2024 ما قيمته 1,5 مليار دولار من البنزين. ولم يتغيّر حجم استيراد البنزين كثيراً خلال السنوات التي تلت الأزمة، فراوح بين 1,7 و1,8 مليون طن. إلا أنه انخفض مقارنة بسنوات ما قبل الأزمة، ففي عام 2019 بلغت كمية البنزين المستوردة نحو 2,1 مليون طن. وتجدر الإشارة إلى أن الاستيراد لم يتأثّر كثيراً برفع الدعم في صيف 2021، كم لم يتأثر بارتفاع الأسعار العالمية في عام 2022 بسبب الحرب الروسية - الأوكرانية، عندما بلغ معدّل قيمة الطن الواحد 1089 دولاراً، مقارنة بـ700 دولار في السنة التي سبقت الحرب و870 دولاراً في عام 2024.

ويرتبط حجم استيراد البنزين باستخدام السيارات. ومع غياب سياسة رسمية لخفض استيراد البنزين، عبر إنشاء قطاع نقل عام يخفّف من استخدام السيارات، يبقى حجم الاستيراد مرتفعاً.

وأخيراً، استورد لبنان في عام 2024 نحو 265 ألف طن من الغاز (بيوتان وبروبان) بقيمة 181 مليون دولار. وبالنظر إلى السنوات السابقة، لم يتغيّر استيراد الغاز كثيراً، حتى مع تغيّر العوامل، مثل رفع الدعم والسعر العالمي، علماً أن استهلاك السوق اللبناني لهذه المادة بلغ نحو 256 ألف طن عام 2019.

استيراد السلع النفطية (2020-2024)

	2020		2021		2022		2023		2024	
	كمية (طن)	قيمة (مليون دولار)	كمية (طن)	قيمة (مليون دولار)	كمية (طن)	قيمة (مليون دولار)	كمية (طن)	قيمة (مليون دولار)	كمية (طن)	قيمة (مليون دولار)
بنزين	1,837,648	837	1,772,382	1,243	1,646,262	1,794	1,688,304	1,583	1,779,596	1,549
مازوت	4,118,926	1,668	3,116,132	1,900	2,884,253	3,228	2,810,005	2,578	2,921,370	2,405
فيول	1,429,995	493	747,100	354	89,617	59	169,388	95	62,636	37
غاز طبيعي	243,334	122	232,754	171	238,532	216	234,596	169	265,194	181

المصدر: الجمارك اللبنانية

تقرير

صور: نادٍ للضباط مخالف للقوانين

أصدرت قاضية الأمور المستعجلة في صور يولا العضيمي قراراً بوقف الأشغال لبناء نادٍ للضباط في عقارات محاذية لمحمية شاطئ صور إثر شكوى تقدّمت بها جمعية «الجنوبيون الخضر»

راجانا حمية

إبان حرب الإسناد في الجنوب، اقتُلعت عشرات الأشجار في منطقة الشواكير المحاذية لمحمية شاطئ صور الطبيعية، المصنّفة بيئية وأثرية، لإقامة نادٍ للضباط. عندما بدأت الأشغال، لم تكن معروفة ماهية المشروع، لكنه أثار الريبة، فوجّهت جمعية «الجنوبيون الخضر» كتباً إلى وزارتي البيئة والثقافة والنيابة العامة البيئية للاستحصال على أجوبة حول دراسة الأثر البيئي وتراخيص المشروع. وفيما كانت الجمعية والناشطون في مبادرة «حماية شاطئ ومحمية صور» يتحركون نحو المعنيين، كانت الأشغال تسابق الريح وتشكّل مشروعاً سياحياً عملاقاً يحجب المدينة عن البحر، ويهدّد محمية شاطئ صور والمواقع الأثرية والبيئية. واستناداً إلى ما أمكن تجميعه من معلومات، فإن المخطط المنوي تنفيذه هو عبارة عن نادٍ للضبّاط، ملحق به فندق و«صفّ» طويل من عشرات المحال التجارية على أرض تملكها الدولة اللبنانية وخصّصتها للجيش للإفادة منها في أغراض دفاعية وعسكرية. لكن، وزارة الدفاع على ما يبدو استعاضت عن ذلك بالأغراض الترفيهية. وبحسب «الجنوبيون الخضر»، فقد «رُمّمت وزارة الدفاع المشروع لشركة أس أي أس لصاحبها سلوان صالحي بنظام الـBOT لإقامة نادٍ للضبّاط مع توابعه» على العقارات 1504، 1570، 1571، 1572، 1573، 1574، 1575، 1197، 1198 من منطقة الشواكير. وحتى الآن، رغم «انتفاضة» الناشطين البيئيين والجمعيات في وجه المشروع، إلا أن أحداً لم يستطع معرفة تفاصيله التي «لا تزال غامضة، إذ لا نعرف طبيعة العقد بين المستثمر ووزارة الدفاع ولا ماهية العلاقة بين الطرفين»، وفق رئيس «الجنوبيون الخضر» هشام يونس.

> المشروع يخالف قوانين تنظيم الاملاك العمومية وحماية البيئة والآثار

بغضّ النظر عن رغبة وزارة الدفاع بالترفيه عن الضباط، إلا أنها «دعست» في المكان الخطأ. إضافة إلى أن هذه العقارات تشكّل منطقة عازلة لمحمية شاطئ صور، فإن عقاراتها مصنّفة بيئياً وأثرياً، ما يُعدّ مخالفة واضحة لقوانين تنظيم الأملاك العمومية وحماية البيئة والآثار، إذ لا توجد دراسة أثر بيئي للمشروع بحسب مصادر وزارة البيئة. كما أن الأشغال تجري في «الأراضي الرطبة» التي يحظر العمل فيها وفقاً لأحكام معاهدة «رامسار» الدولية للحفاظ على المناطق الرطبة، باعتبارها واحدة من 4 مناطق في لبنان كله تشكّل موئلاً للطيور المائية. وبلفت يونس إلى أن أي «تعدّ على هذه الأراضي يهدّد النظام البيئي الفريد للمنطقة ويؤثّر على التوازن الطبيعي».

وفيما ينص قانون إنشاء المحميات على ابتعاد أي نشاط تنموي داخل المنطقة العازلة بين 200 و500 متر عن المحمية، فإن جزءاً من الإنشاءات «لا يبعد أكثر من 20 متراً وفي بعض الأمكنة 6 أمتار».

وفي ما يتعلق بمخالفة قانون الآثار، فقد أجرت المديرية العامة للآثار بالتعاون مع جامعة سابينزا الإيطالية والجامعة اللبنانية مسوحات أثرية عام 2019 بيّنت أن هذه المنطقة تحتوي على بقايا أثرية تعود إلى العصر البرونزي والحديدي، إضافة إلى الفترات الرومانية والبيزنطية. ووثّقت الدراسة 20 موقعاً أثرياً محتملاً ضمن نطاق منطقة الشواكير، ما يستدعي تنقيبات إضافية لضمان حماية الإرث الثقافي الموجود. وإلى ذلك، يشكّل المشروع تهديداً جدياً لتصنيف مدينة صور كموقع مُدرج على قائمة التراث العالمي لليونيسكو، إذ إن أي تغيّر في الشروط يمكن أن تتبعه إعادة نظر في التصنيف.

مسؤولية الوزارات

بدأ المشروع في عهد الحكومة السابقة بالتزامن مع العدوان الإسرائيلي، فلم يكن تحرّك الوزارات على قدر المتوقّع. لذلك، كان التوجّه باستعادة الحراك مع العهد الجديد، فأعادت «الجنوبيون الخضر» توجيه كتاب إلى وزيرة البيئة تمارا الزين التي تشير معلومات إلى أنها كلّفت خبيراً بيئياً للكشف على الموقع وإعداد تقرير. وهذا ما يحتسبه البعض «دعسة ناقصة»، لأن لوزارة البيئة سلطة وقف الأعمال ريثما تتضح كل الأمور ومنها دراسة تقييم الأثر البيئي. أما وزارة الثقافة، فثمّة توجّه لدى المعنيين في المديرية العامة للآثار إلى العمل وفق الآلية التقليدية بتحديد المواقع الأثرية ضمن العقارات، وهو ما يرفضه الناشطون مستندين إلى تجربة سابقة غير مشجّعة في مرفأ عدلون، «حيث لم يمنع التحديد تشويه المنطقة». لذلك، يطالب هؤلاء وزير الثقافة غسان سلامة، الذي اطّلع في زيارته الأخيرة للجنوب على الأشغال الجارية، بتصنيف المنطقة كاملة لحماية النظم البيئية والآثار الظاهرة والمحتمل ظهورها مع الوقت.

(أرشيف)

مقالة

سَجْن قاضٍ ومنع وزير من السفر... هل بدأ الإصلاح؟

عمر نشابة

صدرت الأسبوع المنصرم قرارات واتُّخذت إجراءات أشارت إلى انطلاق قطار الإصلاحات في دوائر السلطة القضائية. فقد أصدر قاضي التحقيق في محكمة التمييز بيار فرنسيس مذكّرة توقيف وجاهية بحق القاضي السابق عماد الزين بجرم تقاضي رشوة مالية عندما كان قاضي تحقيق أوّل في البقاع. وأحيل الزين بعد توقيفه من مكتب المباحث المركزية في وزارة العدل إلى سجن مخصّص للضباط والقضاة في مقر المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي في الأشرفية. ويتابع فرنسيس تحقيقاته في ملف مماثل يتعلق بالقاضي السابق أسامة اللحام الذي استدعاه للاستجواب في 7 نيسان المقبل.

كذلك أصدر النائب العام التمييزي القاضي جمال الحجار قراراً بمنع وزير الاقتصاد السابق أمين سلام من السفر بعدما قدّم رئيس لجنة الاقتصاد النيابية النائب فريد البستاني إخباراً بحقه حول شبهات اختلاس المال العام وقبض رشاوى وصرف نفوذ من خلال ابتزاز شركات تأمين.

في الأسابيع المقبلة، سيتبيّن ما إذا كانت هذه القرارات استثنائية أم جزءاً من ورشة إصلاح انطلقت بعد انتخاب رئيس للجمهورية وتعيين رئيس للحكومة وتشكيل مجلس الوزراء. فلا شك أن الفساد منتشر في القطاعين العام والخاص وفي مختلف الدوائر بما فيها القضائية. ولا بد أن تستمر الملاحقات وأن تشمل أياً كان مهما علا شأنه وأياً تكن الجهة الطائفية أو السياسية أو الخارجية التي تقف خلفه.

ويفترض أن تكوّن النيابات العامة مفهوماً واضحاً للأنماط الجنائية وتجمع الدروس من الملاحقات السابقة والجارية لتجاوز العقبات التي قد تحول دون اكتمال المحاسبة. فلا يحقّ لأحد، ولو كان رئيساً للجمهورية أو لمجلس النواب أو مجلس الوزراء أو وزيراً أو قائد جيش أو مديراً عاماً أو رجل دين... أن يتدخل لحماية أي شخص يلاحق قضائياً. وفيما يبدو ذلك بديهياً إلا أنه ليس كذلك اليوم، ويُخشى أن تتكثّف التدخلات خلال الأيام المقبلة للضغط من أجل إفراغ القرارات التي ذكرناها من مضمونها.

أمام القضاء ورشة عمل واسعة وطويلة ومعقّدة، ولا بد من مراجعة القضايا السابقة التي كان ينظر فيها القاضي إذا ثبت فسادها أمام المحكمة، إذ يمكن أن يكون قد تقاضى رشوة في قضايا أخرى، وقد يستدعي ذلك إعادة المحاكمات بعد الطعن في شرعيتها.

أما بشأن حجز حرية القضاة الملاحقين فيُفضّل أن يكون في سجن مخصّص لهم لا يقع في المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي، وإن كان ذلك غير ممكن في الوقت الحالي بسبب أزمة السجون في لبنان. وبالتالي فإن احتجاز القضاة الملاحقين في هذا السجن يبدو مناسباً بشكل مؤقّت ومرحلي إلى حين إصلاح السجون وإعادة تنظيمها.

إنّ النائب العام الاستئنافي في جبل لبنان، القاضي سامي صادر، أصدر أخيراً تعميماً بإضافة يوم الجمعة إلى أيام استقبال شكاوى المواطنين بعدما كانت محصورة بين الإثنين والخميس فقط. ويهدف هذا القرار إلى تسهيل الإجراءات القانونية أمام المواطنين وتسريع النظر في القضايا. كما يساهم هذا القرار في تعميم نفَساً إصلاحياً في قصور العدل ويبشّر بانطلاق ورشة العمل الجادّ لاستعادة الحق في المحاكمات العادلة في لبنان. فهل يبقى مجرّد تبشير أم يتحوّل فعلاً إلى إصلاح ونهوض؟

وفيات ◄

إنا لله وإنا إليه راجعون
بمزيد من الأسى واللوعة وبقلوب مؤمنة وراضية بقضاء الله وقدره ننعي إليكم وفاة فقيدنا الغالي
رئيس جمعية آل عز الدين في بلدة كفرا والأمين في الحزب السوري القومي الاجتماعي
المرحوم
الحاج أحمد محمد عز الدين (ابو نبيل)

والدته: المرحومة الحاجة زينب موسى العلي
زوجته: المرحومة الحاجة زينب محمد عز الدين (ام نبيل)، الحاجة الهام جهاد عمار
شقيقه: الحاج نايف محسن (ابو عدنان)
شقيقته: الحاجة فاطمه (أم علي مرعي)
اولاده: المرحوم نبيل، محمد، الحاج علي ونسيم
بناته: الدكتورة نازك، نبيلة ورنا
اصهرته: الحاج عباس عز الدين، يوسف عز الدين والمرحوم الدكتور نبيل سلهب
صلي على جثمانه الطاهر و ووري الثرى يوم الأربعاء الواقع فيه 19 آذار 2025 في جبانة بلدته كفرا.
تقبل التعازي يومي السبت والاحد في 22 و 23 آذار 2025 من الساعة الثانية بعد الظهر وحتى الساعة الرابعة بعد الظهر في منزل الفقيد الكائن في دوحة الحص.
كما تقبل التعازي يوم الثلاثاء الواقع فيه 25 آذار 2025 من الساعة الثانية بعد الظهر وحتى الساعة الرابعة بعد الظهر في بيروت في جمعية التخصص والتوجيه العلمي (بالقرب من مبنى خطيب وعلمي).

لروحه وأرواح المؤمنين الفاتحة
الآسفون آل عز الدين، آل عمار، آل العلي، آل سلهب، آل محسن وآل مرعي وعموم اهالي بلدتي كفرا وحاريص

إعلانات رسمية ◄

إعلان
أمانة السجل العقاري في بيروت
طلب رباح شبشول وكيل صلاح جول باخوس وكيل مي نقولا عبود بصفتها وكيلة هدى نقولا عبود سند تمليك بدل عن ضائع باسم المالكة هدى نقولا عبود عن حصتها بالقسم 3 من العقار /1610/ منطقة الأشرفية العقارية.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

إعلان
أمانة السجل العقاري في بيروت
طلب أسعد داود عطايا بصفته وكيل عن مازن محمد ظافر الحكيم بصفته الشخصية وبصفته وكيل عن محمد فادي محمد ظافر الحكيم سندي تمليك بدل عن ضائع باسم مازن محمد ظافر الحكيم ومحمد فادي محمد ظافر الحكيم عن حصصهم بالقسم 4B من العقار /1150/ منطقة راس بيروت العقارية.
للمُعترض 15 يوم للمُراجعة
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

للبيع ◄

للبيع صهريج محروقات عُمومي فولفو موديل 2008 بحالة مُمتازة. السعة 18.000 ليتر.
daiz68637@gmail.com

العالم

على الغلاف

عودة التحذيرات من الحرب الأهلية

«حرب الإقالات» تقسم إسرائيل

رام الله - أحمد العبد

حدّد رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، المسار الذي سيواجه من خلاله أزماته المركّبة، سواء داخلياً ربطاً بالمعارضة المستمرة لسياساته وائتلافه اليميني، أو خارجياً في ما يتّصل بالحرب على غزة وغيرها من الجبهات. وحملت الأيام القليلة الماضية، مفاتيح ذلك المسار، الذي بدأ باستئناف الحرب على القطاع، كمدخل لتحصين الائتلاف الحكومي، الذي عاد إليه مظفّراً، وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير، ما يضمن تمرير الموازنة العامة قبل نهاية الشهر الجاري. واستطاع نتنياهو، بالفعل، تقوية اليمين، وضمان دعم شركائه في الحرب التي يشنّها لإقصاء خصومه في المؤسستَين الأمنية والقضائية، وتالياً ضمان ألّا تتشكّل أيّ لجان رسمية للتحقيق في أحداث السابع من أكتوبر. وفي هذا الإطار، صادقت الحكومة الإسرائيلية، ليل الخميس، على إقالة رئيس جهاز «الشاباك»، رونين بار، من منصبه، على أن تنعقد، غداً الأحد، للتصويت على إقالة المستشارة القضائية للحكومة. ويتّضح من ذلك وغيره أن نتنياهو لا يكترث كثيراً لصوت الشارع الإسرائيلي، الذي يفضّل جزء غير بسيط منه إبرام اتفاق شامل لإعادة الأسرى من غزة؛ ولا لأصوات آلاف الإسرائيليين الذين تظاهروا، صباح أمس، في القدس، وحاولوا الوصول إلى منزل نتنياهو، لكنهم تعرّضوا للقمع والاعتداءات، فيما اندلعت مواجهات بينهم وبين عناصر الشرطة. ووفقاً لصحيفة «جيروزاليم بوست»، استخدمت الشرطة، القوّة المفرطة لتفريق المحتجّين على سياسة الحكومة الخاصّة بالأسرى في غزة، وقرارها عزل رئيس «الشاباك». وأشارت الصحيفة إلى انتشار مقاطع مصوّرة توثّق تعرُّض المتظاهرين للضرب والتعنيف.

وكان نتنياهو أسهل اجتماع إطاحة بار، بالقول إنه «ليست لديه ثقة برئيس الشاباك، منذ السابع من أكتوبر»، مضيفاً: «في الجيش الإسرائيلي، استغللنا فترة الهدوء لتغيير القيادة»، بينما أصدر مسؤول سياسي إسرائيلي بياناً نقلته وسائل إعلام عبرية، قال فيه إن الحكومة «فقدت كل الثقة ببار الذي يواصل التمسّك بمقعده، ويستخدم بشكل وقح عائلات المختطفين». وبحسب هذا المسؤول السياسي، فإن بار «فضّل عدم الحضور إلى جلسة مجلس الوزراء التي تتناول قضيّته، فقط لأنه كان يخشى إعطاء إجابات، وخاصة الإجابة على سؤال واحد: لماذا، بعد أن علمتَ بهجوم حماس قبل ساعات عديدة من وقوعه، لم تفعل شيئاً ولم تتّصل برئيس الحكومة، وهو الأمر الذي كان سيمنع الكارثة؟ لو كان رونين بار قد أدّى واجباته وهو متمسّك الآن بمقعده، لَما وصلنا إلى السابع من أكتوبر».

من جهته، وجّه بار رسالة إلى الحكومة، قال فيها إن «الادّعاءات ضدّي لا أساس لها من الصحة على الإطلاق، وهي مجرّد غطاء لدوافع أخرى غريبة ومرفوضة من أساسها، وقد قدّت بشكل شخصي صفقة التبادل بموافقة من رئيس الحكومة، وإن قرار إقالتي كان يجب أن يُبنى على ادّعاءات واضحة أستطيع الردّ عليها». ووجّه بار حديثه إلى الوزراء، قائلاً: «أنتم غير مطّلعين على معظم التفاصيل بسبب توجيهات رئيس الحكومة، ونتنياهو كان يمنعني من اللقاء بكم خلال السنة الماضية. قرار استبعادي من فريق المفاوضات انعكس سلباً على التفاوض، ولم يؤدّ إلى تحرير مخطوفين، بل كان يهدف إلى إجراء مفاوضات من دون التوصّل إلى صفقة. قرار إقالتي جاء لمنع التحقيق في أحداث السابع من أكتوبر».

ومع ترحيب اليمين المتطرّف في الحكومة بخطّة إقالة بار، واعتباره إياها جزءاً من معركة «تطهير الأجهزة»، شنّ نتنياهو، بدوره، هجوماً لاذعاً ضدّ ما يصفها بـ«الدولة العميقة» في إسرائيل، في تصعيد جديد يطاول أجهزة الاستخبارات، ومن المتوقّع أن يطيح بعض الشخصيات. ووفقاً لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، فإن الضغوط على بار ازدادت بشكل ملحوظ بعد محادثات بين نتنياهو، والرئيس الأميركي دونالد ترمب، في «البيت الأبيض» الشهر الماضي، حيث تبادل الزعيمان الحديث عن الحاجة إلى تصعيد المواجهة مع «الدولة العميقة» التي يتّهمها نتنياهو بأنها تعرقل تنفيذ سياساته الداخلية والخارجية. وذلك تصعيدٌ لا شكّ في أنه سيطاول المؤسسة القضائية الإسرائيلية؛ إذ وفي تغريدة مثيرة للجدل على «إكس»، قال نتنياهو إن «اليسار والدولة العميقة في الولايات المتحدة وإسرائيل يستخدمان النظام القضائي لإحباط إرادة الشعب»، وهو ما قال العديد من خصومه إنه يهدف إلى تقويض «استقلالية القضاء والنظام الديمقراطي» في البلاد.

في المقابل، قضت المحكمة العليا بتجميد قرار إقالة بارز، حتى النظر في الالتماس المقدّم ضده. ونبّت المستشارة القضائية، في رسالة إلى نتنياهو، إلى أنه «وفق قرار المحكمة العليا، يُحظر القيام بأي عمل من شأنه أن يمس بمكانة رئيس الشاباك رونين بار. ويُحظر تعيين رئيس جديد للشاباك، ولا يُسمح حتى بإجراء مقابلات لشغل المنصب». وفي حين أعلن وزير الداخلية الإسرائيلي، موشيه أربيل، أن «الحكومة برئاسة نتنياهو لن تخرق قراراً للمحكمة العليا»، هاجم وزير المالية، بتسلئيل سموتريتش، القرار، قائلاً: «قضاة المحكمة العليا لن يديروا الحرب ولن يحدّدوا من هم قادتها».

وعلى الأرض، تتواصل الاحتجاجات ضدّ الحكومة، فيما من المرجّح أن تتصاعد الأسبوع المقبل، مع التوجّه لإطاحة المستشارة القضائية، في حين شنّت الأحزاب الإسرائيلية هجوماً على الائتلاف؛ إذ وصف استبعادي من فريق المفاوضات «حزب يش عتيد» تصرُّفات نتنياهو، بأنها تعبير عن حالة من «الذعر» نتيجة الانكشاف المحتمل للفساد في حكومته، مع تزايد الشبهات حول تلقّيه أموالاً من جهات أجنبية، في إشارة إلى ما يُعرف بقضية «قطر غايت». وفي ظلّ إصرار نتنياهو على توجّهاته ومخطّطاته، ارتفعت التحذيرات من سيناريوات الفوضى واندلاع حرب أهلية في إسرائيل، وفق ما نبّه إليه مثلاً الرئيس الأسبق للمحكمة الإسرائيلية العليا، القاضي المتقاعد أهارون باراك، الذي قال إن الخلافات والتوتّرات بلغت مستوى ربّما يقود إسرائيل إلى الهاوية، وأوصى بـ«منع استبداد الأغلبية» التي قال إنها «تستغلّ سلطتها». وأثارت تصريحات باراك انتقادات سموتريتش الذي دعا إلى مزيد من التفاهم بين مختلف الأطراف السياسية في إسرائيل، وكتب عبر «إكس»: «السياسيون مُثقلون بالمسؤوليات، وقد فقدوا القدرة على التعامل مع التعقيدات، الغضب منهم لن يجدي نفعاً. إن ما يحرّكنا جميعاً نحو مستقبل أفضل، هو التمسك القوي بالوحدة، في كل أطر هذا الوطن».

> «لا يمكن استبعاد إطالة نتنياهو أمد الحرب لأكثر من سنة من أجل منع إجراء الانتخابات»

بدوره، عبّر رئيس نقابة العمال والموظفين (الهستدروت)، أرنون بار دافيد، عن توقّعه من الحكومة الإسرائيلية «احترام كل قرار يصدر عن المحكمة، والحكومة ليست فوق القانون»، محذّراً من «أننا على حافة الفوضى برعاية هذه الحكومة، ولن أساهم في تدمير المجتمع الإسرائيلي». كما حذّر من عدم تطبيق حكم المحكمة، معتبراً ذلك «خطاً أحمر لا يجوز تجاوزه، ولن نجلس بهدوء بينما يتم تفكيك دولة إسرائيل».

وعقب إقالة الحكومة، بار، وتوجُّهها لإقالة المستشارة القضائية، يزداد التشاؤم حيال أداء حكومة نتنياهو، وما يمكن أن تقدم عليه خلال الأشهر المقبلة، من أجل البقاء أطول فترة في الحكم، ولو كان ذلك عبر إطالة أمد الحرب، وفتح جبهات جديدة للقتال، ما يسمح لها بتأجيل الانتخابات البرلمانية المقرّرة في إشارة إلى ما يُعرف بقضية «قطر غايت». وفي ظلّ إصرار نتنياهو على توجّهاته ومخطّطاته، ارتفعت التحذيرات من سيناريوات الفوضى واندلاع حرب أهلية في إسرائيل، وفق ما نبّه إليه مثلاً الرئيس الأسبق للمحكمة الإسرائيلية العليا، القاضي المتقاعد أهارون باراك، الذي قال إن الخلافات والتوتّرات بلغت مستوى ربّما يقود إسرائيل إلى الهاوية، وأوصى بـ«منع استبداد الأغلبية» التي قال إنها «تستغلّ سلطتها». وأثارت تصريحات باراك انتقادات سموتريتش الذي دعا إلى مزيد من التفاهم بين مختلف الأطراف السياسية في إسرائيل، وكتب عبر «إكس»: «السياسيون مُثقلون بالمسؤوليات، وقد فقدوا القدرة على التعامل مع التعقيدات، الغضب منهم لن يجدي نفعاً. إن ما يحرّكنا جميعاً نحو مستقبل أفضل، هو التمسك القوي بالوحدة، في كل أطر هذا الوطن».

بدوره، عبّر رئيس نقابة العمال والموظفين (الهستدروت)، أرنون بار دافيد، عن توقّعه من الحكومة الإسرائيلية «احترام كل قرار يصدر عن المحكمة، والحكومة ليست فوق القانون»، محذّراً من «أننا على حافة الفوضى برعاية هذه الحكومة، ولن أساهم في تدمير المجتمع الإسرائيلي». كما حذّر من عدم تطبيق حكم المحكمة، معتبراً ذلك «خطاً أحمر لا يجوز تجاوزه، ولن نجلس بهدوء بينما يتم تفكيك دولة إسرائيل».

وعقب إقالة الحكومة، بار، وتوجُّهها لإقالة المستشارة القضائية، يزداد التشاؤم حيال أداء حكومة نتنياهو، وما يمكن أن تقدم عليه خلال الأشهر المقبلة، من أجل البقاء أطول فترة في الحكم، ولو كان ذلك عبر إطالة أمد الحرب، وفتح جبهات جديدة للقتال، ما يسمح لها بتأجيل الانتخابات البرلمانية المقرّرة في إشارة إلى ما يُعرف بقضية «قطر غايت». وفي ظلّ إصرار نتنياهو على توجّهاته ومخطّطاته، ارتفعت التحذيرات من سيناريوات الفوضى واندلاع حرب أهلية في إسرائيل، وفق ما نبّه إليه مثلاً الرئيس الأسبق للمحكمة الإسرائيلية العليا، القاضي المتقاعد أهارون باراك، الذي قال إن الخلافات والتوتّرات بلغت مستوى ربّما يقود إسرائيل إلى الهاوية، وأوصى بـ«منع استبداد الأغلبية» التي قال إنها «تستغلّ سلطتها». وأثارت تصريحات باراك انتقادات سموتريتش الذي دعا إلى مزيد من التفاهم بين مختلف الأطراف السياسية في إسرائيل، وكتب عبر «إكس»: «السياسيون مُثقلون بالمسؤوليات، وقد فقدوا القدرة على التعامل مع التعقيدات، الغضب منهم لن يجدي نفعاً. إن ما يحرّكنا جميعاً نحو مستقبل أفضل، هو التمسك القوي بالوحدة، في كل أطر هذا الوطن».

بدوره، عبّر رئيس نقابة العمال والموظفين (الهستدروت)، أرنون بار دافيد، عن توقّعه من الحكومة الإسرائيلية «احترام كل قرار يصدر عن المحكمة، والحكومة ليست فوق القانون»، محذّراً من «أننا على حافة الفوضى برعاية هذه الحكومة، ولن أساهم في تدمير المجتمع الإسرائيلي». كما حذّر من عدم تطبيق حكم المحكمة، معتبراً ذلك «خطاً أحمر لا يجوز تجاوزه، ولن نجلس بهدوء بينما يتم تفكيك دولة إسرائيل».

وعقب إقالة الحكومة، بار، وتوجُّهها لإقالة المستشارة القضائية، يزداد التشاؤم حيال أداء حكومة نتنياهو، وما يمكن أن تقدم عليه خلال الأشهر المقبلة، من أجل البقاء أطول فترة في الحكم، ولو كان ذلك عبر إطالة أمد الحرب، وفتح جبهات جديدة للقتال، ما يسمح لها بتأجيل الانتخابات البرلمانية المقرّرة في إشارة إلى ما يُعرف بقضية «قطر غايت». وفي ظلّ إصرار نتنياهو على توجّهاته ومخطّطاته، ارتفعت التحذيرات من سيناريوات الفوضى واندلاع حرب أهلية في إسرائيل، وفق ما نبّه إليه مثلاً الرئيس الأسبق للمحكمة الإسرائيلية العليا، القاضي المتقاعد أهارون باراك، الذي قال إن الخلافات والتوتّرات بلغت مستوى ربّما يقود إسرائيل إلى الهاوية، وأوصى بـ«منع استبداد الأغلبية» التي قال إنها «تستغلّ سلطتها». وأثارت تصريحات باراك انتقادات سموتريتش الذي دعا إلى مزيد من التفاهم بين مختلف الأطراف السياسية في إسرائيل، وكتب عبر «إكس»: «السياسيون مُثقلون بالمسؤوليات، وقد فقدوا القدرة على التعامل مع التعقيدات، الغضب منهم لن يجدي نفعاً. إن ما يحرّكنا جميعاً نحو مستقبل أفضل، هو التمسك القوي بالوحدة، في كل أطر هذا الوطن».

على الغلاف

واشنطن - القاهرة

مشروع هدنة جديدة قيد البحث

القاهرة - **الأخبار**

للمرة الأولى منذ استئناف العمليات العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة، ناقشت الولايات المتحدة إمكانية التوصل إلى تهدئة، بناءً على تفاهمات مع الوسطاء، فيما تشير التقديرات إلى احتمال إعلان هدنة خلال 48 ساعة، وفقاً لمصادر مصرية. وأوضحت أن «آلية تنفيذ هذه الهدنة لم تُحسم بعد بشكل نهائي». وفي غضون ذلك، أبلغت إسرائيل، مصر، بتكثيف تحركاتها العسكرية على الشريط الحدودي في رفح، إلى جانب تنفيذ أعمال أخرى في المنطقة القريبة من الحدود، تشمل تحريك تجهيزات عسكرية ومعدات ثقيلة استعداداً لتوغل بري محتمل. وحذّرت مصر، رداً على تلك الخطوات، ممّا سمّته «تداعيات استخدام القوة المفرطة»، مشدّدة على «عدم التساهل تجاه أي خطأ قد يحدث على الشريط الحدودي». وأشارت، في الوقت نفسه، إلى أن «هذه التحركات لن تسهم في تحسين الأوضاع، بل ستزيد من تعقيد المشهد، نظراً إلى تأثيراتها المحتملة على الاستقرار الإقليمي».

وفي وقت تتكدّس فيه شاحنات المساعدات الإنسانية على الجانب المصري من معبر رفح، ولا تزال القاهرة تنتظر موافقة إسرائيلية لإعادة تشغيل المعبر، طلب مسؤولوها من نظرائهم الإسرائيليين، الموافقة على الأمر «بشكل عاجل، حتى مع استمرار العمليات العسكرية، لضمان وصول الإمدادات إلى القطاع وعدم تفاقم الأزمة الإنسانية». وفي هذا الجانب، يدافع مسؤول مصري، في حديثه إلى «الأخبار»، بأن المعبر «لا يزال مفتوحاً من الجانب المصري، لكنّ سلطات الاحتلال الإسرائيلي تواصل إغلاقه من الجهة الفلسطينية».

وفي هذا الوقت، تواصل السلطات المصرية، تجهيز فرق الإغاثة والطواقم الطبية في مستشفيات شمال سيناء والقاهرة الكبرى، استعداداً لاستقبال المصابين عند السماح لهم بالعبور، وفقاً لمصادر في ميناء رفح البري.

لا تزال شاحنات المساعدات الإنسانية تتكدس على الجانب المصري من معبر رفح (هنّ الويب)

العدو يوسّع توغّلاته
توجّه لاحتلال كامل لغزة

غزة - **يوسف فارس**

عاودت الآلاف من العائلات الفلسطينية في قطاع غزة، النزوح من المنازل التي لم تكد تنتهي من استصلاحها، بعد 50 يوماً من العمل المضني ليلاً ونهاراً، والذي انتهى بترميم غرفة واحدة في البيت المدمّر، أو نصب خيمة يمكن الاستقرار فيها مكان البيت بعد نزوح طويل، لتتقوّض كلّ تلك الجهود بأوامر الإخلاء الإسرائيلية الجديدة. ويقول الحاج محمد المصري، لـ«الأخبار»، وهو في طريقه للخروج من مدينة بيت لاهيا شمال القطاع متّجهاً إلى مدينة غزة: «لم ننجز بعد تنظيف المنزل. اليوم فقط فرشنا البيت وأغلقنا النوافذ بالنايلون، وأوصلنا المياه، فأنذروا منطقتنا بالإخلاء، وقد خرجنا بملابسنا فقط»، مضيفاً: «حرام ما يحصل لنا. لم تبقَ لنا طاقة. الموت أرحم من هذه الحياة».

ومثّلت باحات المستشفيات، الوجه الآخر الأكثر بؤساً للتصعيد الإسرائيلي الجديد، حيث تصل جثامين المئات من الشهداء تباعاً إلى مستشفى «الإندونيسي» في شمال القطاع، في حين تحوّل وقتا السحور والفطور في رمضان إلى مجالس عزاء للعائلات الآمنة. وطاول قصف الطائرات الحربية الإسرائيلية مساجد ومربعات سكنية بأكملها، وسط انهيار تام للمنظومة الصحية. ووفقاً لإحصائيات وزارة الصحة، فقد ارتفعت حصيلة الضحايا إلى 605 شهداء وأكثر من 1000 مصاب، 70% منهم من النساء والأطفال وكبار السن، منذ استئناف العدو هجومه الوحشي على القطاع، فجر الثلاثاء الماضي.

ويأتي هذا في وقت وسّع فيه جيش الاحتلال العملية البرية في شمال القطاع وجنوبه، حيث تُقدّمت الدبّابات الإسرائيلية من محور الساحل الشمالي لمدينة بيت لاهيا حتى حي العطاطرة شمال غرب المدينة؛ كما توغّلت الآليات في مخيم الشاطبورة في مدينة رفح جنوب القطاع، توازياً مع إتمام السيطرة على محور «نتساريم» من شارع صلاح الدين شرق القطاع وحتى شارع الرشيد غرباً، في خلال اليومين الماضيين. وفي غضون ذلك، أنذر جيش الاحتلال أهالي مدينتي بيت حانون وبيت لاهيا، وبلدات خزاعة والقرارة وبني سهيلا شرق مدينة خانيونس بالإخلاء، بعدما ضاعفت الطائرات الحربية الإسرائيلية من استهداف المربعات السكنية، وقصفت، أمس، مربعاً سكنياً وسط مخيم جباليا، وعدداً من المنازل في بيت لاهيا وأحياء السلاطين والتفاح والشجاعية شرق مدينة غزة.

انذر الاحتلال اهالي بيت حانون وبيت لاهيا وخزاعة والقرارة وبني سهيلا بالإخلاء

وعلى الصعيد السياسي، أكّد مصدر قيادي فلسطيني تلقّى مقترح مصري لوقف إطلاق النار وإطلاق سراح المزيد من الأسرى، وأشار المصدر، في حديث إلى «الأخبار»، إلى وجود موافقة أميركية مبدئية على المقترح الذي ينص على وضع جدول زمني لإطلاق سراح جميع الأسرى الإسرائيليين والانسحاب التام من القطاع مع وقف إطلاق النار، فيما ينتظر الوسطاء ردّ العدو الإسرائيلي و«حماس» على المقترح المصري، في غضون الساعات المقبلة. ونقلت صحيفة «هآرتس» العبرية عن مصدر أمني إسرائيلي قوله إن «الباب ما زال مفتوحاً لإبرام صفقة تبادل يطلق بموجبها بعض الرهائن، غير أن التصعيد متّجه إلى التفاقم إذا لم يتم إبرام اتفاق بسبب ضغط الحكومة لصالح توسيع رقعة القتال». وأضافت أن «إسرائيل تخفي كما يبدو في الوقت الراهن، النوايا الحقيقية للحكومة والجيش. فبينما يجري انتظار مفاوضات مشكوك في نتيجتها، يتم تجهيز الأرضية لعملية واسعة لاحتلال قطاع غزة بالكامل».

وكان وزير جيش الاحتلال، يسرائيل كاتس، وجّه بتوسيع العملية البرية واحتلال المزيد من الأراضي في غزة، مشدّداً على ضرورة ممارسة المزيد من الضغط على «حماس» لتقديم تنازلات في إطار إطلاق سراح الأسرى لديها.

الدخان يتصاعد إثر غارة إسرائيلية استهدفت مخيم البريج في وسط قطاع غزة (أ ف ب)

ترامب يعاكس نفسه: مزيد من التورّط في «حروب إسرائيل»

ريم هاني

من بين جميع ممارسات الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، المثيرة للجدل في الشرق الأوسط، يثير الدعم الأميركي غير المشروط لاستكمال العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، بشكل خاص، مخاوف المراقبين الأميركيين، والذين يحذّرون من أن ما تقوم به تل أبيب يخاطر بإغراق واشنطن في حرب «لا متناهية»، وتقويض خططها للمنطقة، وذلك خدمة لطموحات إسرائيل الأيديولوجية والتوسّعية، والتي لن تمرّ من دون مقاومة «ومخاطر حقيقية». وفي هذا السياق، أشارت صحيفة «بوليتيكو» الأميركية إلى أنّه بعدما قدّمت إدارة ترامب اقتراحاً لتمديد وقف إطلاق النار، «لم تقبله (حماس)، يبدو أنّه ليس لدى واشنطن «الكثير لتقوله عن الطريقة التي قد تتدخل بها» لإدارة «الصراع»، فيما تكتفي، حتى اللحظة، بتوجيه رسائل إلى «حماس»، محمّلة إياها المسؤولية الكاملة حول تجدّد الحرب، أكثر استدامةً للصراع من دون وقف إطلاق النار»، إلا أنّ «الإسرائيليين لا يريدون الدخول في سيناريو يكون فيه حل الدولتين ممكناً. لذا فهم يريدون استمرار الحرب»، محذّراً من أنّه «إذا سار ترامب على خطى الإسرائيليين، فهو سيورّط واشنطن، فعلياً، في حرب أخرى لا نهاية لها».

ونقلت الصحيفة عن جون هانا، عضو «المعهد اليهودي للأمن القومي الأميركي»، قوله إنّ تصرفات إسرائيل توحي بأنّها ترسي «أسساً لاحتلال الأرض»، نظراً إلى أنّها تختلف عن استراتيجية شنّ الغارات التي طبعت العمليات الإسرائيلية عامي 2023 و2024. وأشار هانا إلى أنّ أي محاولة لاحتلال «ستورط إسرائيل في مواجهة مقاومة وحالات تمرد محتملة». ورأى أنّه مع وضع الانتكاسات العسكرية الكبيرة والخسائر الفادحة في غزة، جانباً، يمكن لإسرائيل أن «تواصل التظاهر أمام الولايات المتحدة والرئيس ترامب بأنها تنجح بالفعل في هزيمة (حماس)»، مؤكداً أنّه «حتى الآن، لم نشهد أي خطة حقيقية من إسرائيل حول (اليوم التالي) في غزة، إلا في حال كانت الخطة تتمثّل بإعادة احتلال الجيش الإسرائيلي لغزة إلى أجل غير مسمى، وهو ما يطرح خطراً حقيقياً». ومن جهته، لفت تريتا بارسي، نائب الرئيس التنفيذي لمركز أبحاث «معهد كوينسي»، في واشنطن، إلى أنّه على الرغم من استحالة إجراء حوار «حول أي حل أكثر استدامة للصراع من دون وقف إطلاق النار»، إلا أنّ «الإسرائيليين لا يريدون الدخول في سيناريو يكون فيه حل الدولتين ممكناً. لذا فهم يريدون استمرار الحرب»، محذّراً من أنّه «إذا سار ترامب على خطى الإسرائيليين، فهو سيورّط واشنطن، فعلياً، في حرب أخرى لا نهاية لها».

إذا سار ترامب على خطى الإسرائيليين، فهو سيورّط واشنطن في حرب أخرى لا نهاية لها

وطبقاً لما نقله «المجلس الأطلسي»، بدوره، عن مجموعة من الخبراء، فإنه إذ تهدف استراتيجيات ترامب المتفرقة في المنطقة، وتحديداً في ما يتعلق بمهاجمة جماعة «أنصار الله» في اليمن، «وضمان استمرار الاستقرار في سوريا ولبنان»، وترسيم الحدود البرية بين الأخير وإسرائيل، إلى «الضغط على إيران»، ومنعها من تجديد نفوذها في المنطقة، إلا أنّه على النقيض من ذلك، وفي ما يتعلق بغزة تحديداً، فمن المرجّح أن يتعارض دعم إدارة ترامب لقرار نتنياهو مع هدف واشنطن الأكبر، والمتمثّل في مواجهة طهران. ويرجع ذلك، طبقاً لأصحاب الرأي المتقدّم، إلى أنّ الهجمات الجوية الإسرائيلية الواسعة النطاق على «حماس»، وإعادة إدخال القوات البرية إلى القطاع هذا الأسبوع، والتي أعقبها هجوم صاروخي شنته الحركة ضد فعلي «على القادة الذين بكره انتقادهم»، في إشارة إلى نتنياهو والرئيس الروسي فلاديمير بوتين، واللذين تشجّعا على «طرح مطالب متطرفة». ويرى أصحاب هذا الرأي أنّه بعدما عمد ترامب إلى «تهديد (حماس)، ومضايقة أوكرانيا»، يجب عليه أن يحدد، حالياً، الأطراف التي يجب أن يضغط عليها من أجل «تحقيق السلام».

إذا سار ترامب على خطى الإسرائيليين، فهو سيورّط واشنطن في حرب اخرى لا نهاية لها

على تل أبيب، «تُنذر بصراع مفتوح مع الجماعة الإرهابية»، وتخاطر بمفاقمة الانقسامات الداخلية في إسرائيل، جنباً إلى جنب «تشتيت انتباهها عن التركيز على كيفية التعامل مع إيران». وفيما يسعى نتنياهو إلى إطالة عمر الحرب لتجنّب المحاسبة السياسية عن إخفاقاته في السابع من أكتوبر، والبقاء في السلطة من خلال استرضاء اليمين المتطرف في ائتلافه، فمن المرجّح، طبقاً للمصدر نفسه، أن يُؤدي دعم الولايات المتحدة لاستمرار الحرب في غزة إلى توتر العلاقات مع السعودية والإمارات ودول الخليج الأخرى، والتي تدعم الغالبية الساحقة من شعوبها الفلسطينيين، وتشعر بالقلق إزاء الخسائر الكبيرة في أرواحهم، ما سيعقّد «تشكيل واشنطن لجبهة سياسية موحّدة تجاه طهران». كذلك، لن تتمكن الولايات المتحدة، في خضمّ استمرار الحرب، من تحقيق هدفها المنشود المتمثّل في التوسط في التطبيع السعودي - الإسرائيلي، بعدما أكّد السعوديون أنهم لن يقفزوا في مثل تلك الخطوة في حال عدم إنهاء الحرب، وفي ظل غياب أي التزام إسرائيلي بقيام دولة فلسطينية في نهاية المطاف.

من جهتها، اعتبرت «هيئة تحرير» صحيفة «واشنطن بوست»، أنّه غالباً ما يكون «بدء الحرب أسهل من إنهائها»، معتبرةً أنّ ترامب لن يقترب من تحقيق سلام «مقبول» في أوكرانيا أو الشرق الأوسط، من دون ممارسة ضغط فعلي

ضربات يمنية متلاحقة في عمق الكيان
واشنطن لتل أبيب: نحن نتكفّل بصنعاء

صنعاء - **رشيد الحداد**

نفّذت قوات صنعاء عمليتين هجوميتين جديدتين في عمق الكيان الإسرائيلي، أمس. وفي حين أعلن المتحدث باسمها، العميد يحيى سريع، أن تلك القوات نفّذت فجراً عملية نوعية بصاروخ باليستي فرط صوتي من نوع «فلسطين 2» ضد هدف عسكري إسرائيلي جنوب تل أبيب، زعم جيش الاحتلال مساء أنه اعترض صاروخاً أطلق من اليمن، بعدما انطلقت صافرات الإنذار في القدس ومناطق في وسط فلسطين المحتلة.

وفي السياق ذاته، أكّدت صحيفة «يديعوت أحرونوت»، نقلاً عن مسؤولين إسرائيليين، طلب واشنطن من تل أبيب عدم الرد على الهجمات اليمنية، مع وعد بأن تتولى القوات الأميركية بنفسها الردّ عليها.

ومن جهتها، قلّلت صحيفة «جيروزالم بوست» من جدوى الغارات الأميركية على اليمن، واعتبرت أن تصاعد هجمات «أنصار الله» على إسرائيل، يعكس فشلاً جديداً للولايات المتحدة في تحجيم قدرات الحركة.

ووفقاً للصحيفة العبرية، فإن «تصعيد الحوثيين اللافت يُشكّل تحدياً جديداً للولايات المتحدة وإسرائيل»، ويعكس واقعاً مغايراً لما روّج له المسؤولون الأميركيون من أن الضربات الجوية «ستقضي تماماً» على قدراتهم. ذلك أن المشهد على الأرض يُظهر أن «أنصار الله» لا تزال قادرة على شن هجمات صاروخية، ما يعقّد حسابات واشنطن في المنطقة، ويفرض تحديات جديدة على الاستراتيجية الأميركية في مواجهة الجماعة.

إلى ذلك، وبالتزامن مع إعلان وزارة الدفاع الأميركية تمديد انتشار حاملة الطائرات «هاري ترومان» شهراً إضافياً في البحر الأحمر، حتى وصول حاملة الطائرات البديلة «كارل فينسن» إلى مسرح عمليات القيادة المركزية الأميركية، كشفت مصادر محلية في السواحل الغربية لليمن عن وقوع اشتباكات بحرية عنيفة في البحر الأحمر، فجر أمس. ويأتي ذلك في ظل حديث عن عودة «ترومان» والسفن المرافقة لها للتموضع بالقرب من السواحل السعودية شمال البحر الأحمر، على بعد 800 كيلومتر من السواحل اليمنية، إثر ابتعادها في الأيام الماضية إلى مسافة 1300 كيلومتر.

وأشارت المصادر إلى أن الاشتباك الجديد الذي لم تعلن عنه قوات صنعاء رسمياً، جاء في أعقاب رصد الأخيرة تحرّكاً جديداً لحاملة الطائرات لتنفيذ غارات إضافية على اليمن. وإثر ذلك، تعرّضت منطقة الفازة جنوب مدينة الحديدة على الساحل الغربي لست غارات جوية، فيما أفادت مصادر محلية في محافظة صعدة، بتعرّض مديرية سلقين غرب المحافظة لهجوم جوي جديد، على رغم أن الطيران الأميركي استهدف المنطقة نفسها منذ مطلع الأسبوع الماضي عدة مرات.

وقالت مصادر عسكرية في صنعاء، لـ«الأخبار»، إن الضغط العسكري المكثّف للقوات اليمنية على «ترومان» أجبر البحرية الأميركية على اتخاذ موقف الدفاع، وأثبت جدواه في إحباط عدد من الهجمات الواسعة التي أعدّت لها واشنطن، مشيرة إلى أن حاملة الطائرات تعتمد على مقاتلاتها كجناح هجومي أساسي، وأن مهاجمتها بشكل مكثّف بالصواريخ والمُسيّرات من قبل قوات صنعاء، أدّت إلى تعطيل قدرتها على تنسيق إقلاع المقاتلات وهبوطها أو تزويدها بالدعم اللوجستي اللازم، ما يجبرها على التخلي عن خططها الهجومية، كونها هي نفسها في خطر مباشر.

موقع غارة أميركية على صنعاء (أ ف ب)

تتواصل عمليات القنص والتضييق على خلفية طائفية، برغم التعهدات المستمرة بوقفها ومحاسبة مرتكبيها (أ ف ب)

تقرير

بوادر خطوات أميركية نحو دمشق
«اللوبي السوري» يضغط لرفع العقوبات

بعد أن لعب دوراً بارزاً في صياغة العقوبات المفروضة على سوريا خلال حكم نظام بشار الأسد، يسعى «التحالف السوري»، وهو تكتّل سياسي تدعمه الخارجية الأميركية، لبدء حملة إقناع واسعة في أروقة الإدارة الأميركية لتخفيف هذه العقوبات، في وقت أعلنت فيه الخارجية الأميركية أنها لا تزال تراقب الوضع عن كثب قبل اتخاذ أيّ قرار. وأعلن القيادي في «التحالف»، علاء غانم، في منشور على موقع «فيسبوك»، عن مبادرة مشتركة أطلقها سياسيان أميركيان هما: عضو مجلس الشيوخ والمرشحة الرئاسية السابقة إليزابيث وارين (ديمقراطية)، عن ولاية ماساتشوستس) التي تشغل منصب عميدة الديمقراطيين في اللجنة المسؤولة عن الصيرفة في مجلس الشيوخ، وعضو لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب، والرئيس الأسبق للّجنة المسؤولة عن الشرق الأوسط جو ويلسون (جمهوري، عن ولاية كارولينا الجنوبية)، لإقناع البيت الأبيض بـ«مراجعة وتغيير سياسة العقوبات الأميركية على سوريا ورفع جزء كبير منها، ولا سيما ما يتّسم منها بأنه شديد الشمولية أو أنّه قديمٌ فُرض على نظام بائدٍ لم يعد موجوداً اليوم»، بحسب كتاب وُجّهه السياسيان إلى الخارجية الأميركية.

وبحسب غانم، ينوّه المسؤولان في كتابهما إلى أن "من شأن إبقاء هذه العقوبات عرقلة رجوع الاستقرار إلى سوريا، الأمر الذي قد يسبب موجات نزوح جديدة، أو يكرّس طرقَ الكسب غير المشروع مثل الاتّجار بالمخدّرات. كما يشرحان عواقب ركود السياسة الأميركية في هذا الصدد كعرقلة إعادة الإعمار وفتح الباب لعودة روسيا وإيران من جديد». ويشدّد الكتاب، كذلك، على ضرورة رفع العقوبات المفروضة على قطاعَي الاستثمارات والخدمات المالية والمصرفية، مشيراً إلى أن الرخصة العامة التي صدرت مطلع هذا العام لتعليق بعض العقوبات تُعتبر «خطوة غير كافية ويجب اتخاذ المزيد من الخطوات لتشجيع القطاعَين العام والخاص على الدخول إلى سوريا والمساهمة في إعادة الإعمار». ويطلب الكتاب، أيضاً، من إدارة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، تقديم خارطة طريق واضحة للحكومة السورية من شأنها إيضاح الخطوات التي ينبغي العمل عليها للحصول على تعاون أميركي أكبر، معتبراً أنه من شأن إبقاء العقوبات كما هي «تغذية التيارات المتطرفة»، وأن رفعها «سينعش الشعب والمجتمع المدني في سوريا ويعينهما على المطالبة بإصلاحات داخلية أكبر».

وفي ردّها الأولي على هذه المبادرة، أعلنت الخارجية الأميركية أنها تراقب الأوضاع في سوريا لاتخاذ القرارات المناسبة، مشيرة إلى أنها على علم بوجود «توقّعات برفع بعض العقوبات»، داعية دمشق إلى «محاربة الإرهاب وتشكيل حكومة مدنية شاملة متعدّدة الأطراف». ويأتي الحراك الجديد لتخفيف العقوبات الأميركية المفروضة على سوريا، والتي ساهمت بشكل كبير في مضاعفة آثار الحرب التي تعيشها البلاد منذ عام 2011 - وما تخلّلها من تدمير للاقتصاد، وحملات تهجير ونزوح ولجوء -، بعد يوم واحد من اتصال هاتفي أجراه الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، المتحكّم الأبرز بالملف السوري في مرحلة «ما بعد الأسد»، بنظيره الأميركي ترامب، ذكرت وسائل إعلام تركية أنه جرت خلاله مناقشة ملفات عديدة، بينها صفقة الطائرات الأميركية المجدّدة (F35)، والملف السوري، الذي يعتبر ترامب أنه لا يعنيه، ويؤيد تحكّم أنقرة فيه.

كذلك، يأتي هذا الحراك في وقت لا تزال تضجّ فيه الأوساط السياسية العالمية بتفاصيل

يثير توقيت المبادرة الأميركية، ومحاولة الاستعجال في تنفيذها، تساؤلات عديدة

المجازر التي ارتكبتها فصائل تابعة للإدارة السورية الجديدة في الساحل السوري، وراح ضحيتها الآلاف من السوريين، معظمهم من الطائفة العلوية. وإذ تصاعدت المطالبات بفرض عقوبات على مرتكبي تلك المجازر، فقد أدّى هذا الواقع إلى عرقلة الانفتاح الأوروبي على الإدارة، والذي كان يستهدف استثمار الظروف الجديدة للتخلص من عبء اللاجئين السوريين، وإعادة هندسة خريطة النفوذ السياسية، بما يؤدي إلى إبعاد روسيا، الحليف الاستراتيجي السابق لنظام الأسد، والتي يبدو أنها تمكّنت من إعادة صياغة شكل العلاقة بدمشق، وفق ما أظهرته إعادة إرسال شحنات من النفط لدعم قطاع الطاقة السوري.

وعلى أيّ حال، لا تبدو المبادرة الأميركية الجديدة خارجة عن سياق التوقّعات، غير أن توقيتها، ومحاولة الاستعجال في تنفيذها يثيران تساؤلات عديدة، خصوصاً مع استمرار انفلات الجماعات المتشددة، وعجز، أو تجاهل، الإدارة السورية لهذا الانفلات وأثاره على المجتمع السوري، إلى جانب تواصل عمليات القتل والتضييق على خلفية طائفية، برغم التعهدات المستمرة بوقفها ومحاسبة مرتكبيها.

(الأخبار)

تقرير

«تحالف الراغبين» وُلد ميتاً
ملامح خلاف بريطاني – أوروبي متجدّد

كان ترامب رفض مبدأ مدّ مظلّة حماية أميركية لقوات أوروبية على الأرض الأوكرانية (أ ف ب)

لندن - **سعيد محمد**

يبدو أن الخطة البريطانية - الفرنسية لإرسال قوّة برية لضمان أمن النظام الأوكراني، في طريقها إلى الاضمحلال، بعدما أعلن رئيس الوزراء البريطاني، كير ستارمر، أن البحث يُتّجه، الآن، نحو تقديم دعم بحري وجوّي لكييف، لتمكينها من الدفاع عن نفسها بنفسها. وبعد اجتماع عُقد بالقرب من لندن، أول أمس، شارك فيه مخطّطون وخبراء عسكريون من 31 دولة أعربت عن اهتمامها بالالتحاق بما سُمّي «تحالف الراغبين» - عبر المساهمة بقوات برية تنتشر في أوكرانيا وتوفّر نوعاً من ضمانة أمنية لنظامها في حال التوصّل إلى تسوية في المفاوضات الأميركية - الروسية في هذا الخصوص -، قال ستارمر إن ثمّة مسارات مختلفة لتحقيق وقف دائم لإطلاق النار، مشدّداً على دور القوّة البحرية والجوية في «الدفاع عن السلام»، كما عبّر عن ثقته بقدرة القوات الأوكرانية وخبرتها في الدفاع عن أراضيها، مشيراً إلى أن أيّ دور لـ«تحالف الراغبين»، لن يكون بغرض استبدال تلك القدرة، وإنّما تعزيزها جوّاً، وبحراً، وبراً.

وكانت لندن وباريس قادتا جهوداً دبلوماسية مكثّفة لفرض دور أوروبي على العملية التفاوضية في شأن وقف الحرب في أوكرانيا، والتي أطلقها الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، مباشرة مع الجانب الروسي، من دون ممثّل حقيقي لأوروبيين أيّ دور فيها. وأرادت بريطانيا وفرنسا إرسال 30 ألف جندي لتأمين الخطوط الخلفية، بعيداً عن خطّ الفصل بين القوات المتحاربة، ومنْح الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، ضمانة أمنية بعدم استهداف نظامه بعد التوصّل إلى تسوية.

ويقول خبراء مطّلعون على المداولات بين القادة الأوروبيين، إن التحالف العتيد «وُلد ميتاً»، بعدما بيّن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، لنظيره الأميركي، في مكالمتهما الهاتفية (الثلاثاء الماضي)، أن موسكو لن تتسامح مع نشر قوات من دول أعضاء في «حلف شمال الأطلسي» في أوكرانيا. وكان ترامب رفض أيضاً مبدأ مدّ مظلّة حماية أميركية لقوات أوروبية على الأرض الأوكرانية، ما سيجعل من تلك القوات هدفاً سهلاً للجيش الروسي، فضلاً عن الكابوس اللوجستي الذي ستتطلّبه إدارة قوّة معقّدة التركيب من دون دعم من قواعد الجيش الأميركي عبر أوروبا.

وعلى رغم الفشل الذريع لمشروع «تحالف الراغبين»، والذي ضمّ إلى دول أوروبية، كلاًّ من أستراليا وكندا ونيوزيلندا، فإن ستارمر لم يخفِّف من لهجته العدائية تجاه الجانب الروسي؛ إذ قال بعد اجتماع المخطّطين العسكريين، إن «الزعيم الروسي يجب أن يعلم أنه ستكون هناك عواقب وخيمة إذا انتهك أيّ وقف لإطلاق النار يتمّ التوصّل إليه»، مصرّاً على أنه ليس لبوتين حقّ النقض ضد مبدأ نشر قوات غربية في أوكرانيا. وفُهم من حديث ستارمر أن اختراقاً ما قد حدث خلال ما وصفه بـ«المحادثات المهمّة» بين الرئيسَين ترامب وبوتين، إذ قال إنه «يتم التركيز الآن على وضع جدول زمني لوقف محتمل لإطلاق النار».

من ناحية أخرى، تدهورت العلاقات البريطانية - الأوروبية، هذا الأسبوع، بعدما كشفت المفوّضية الأوروبية أنها ستستبعد صانعي الأسلحة البريطانيين من مشتريات صندوق إنفاق عسكري جديد بقيمة 150 مليار يورو سيطلقه الاتحاد الأوروبي لتعزيز قدرة دوله على الدفاع عن نفسها. وقرّر الأوروبيون إطلاق هذا الصندوق، في ظلّ تزايُد احتمالات وقف الحماية الأميركية للقارة، وانسحاب الولايات المتحدة من «الناتو». لكنّ المفوّضية أعلنت اقتصار أوجه الإنفاق على منتجات صناعات الدفاع الأوروبية حصراً، مستبعدةً بذلك الشركات الأميركية والبريطانية والتركية من قوائم المزوّدين المتحملين. وفي هذا الشأن، قال ستارمر إنه يتواصل مع رئيسة المفوّضية الأوروبية، أورسولا فون دير لايين، «بشكل جيد طوال الوقت»، للبحث في طرق تتيح إدراج شركات صناعات الحرب البريطانية في قائمة المزوّدين المعتمدين إلى جانب الشركات الأوروبية.

على أن مصادر بروكسل (مقر المفوّضية) قلّلت من أهمية تذمُّر

> أعلنت المفوّضية الأوروبية عن اقتصار أوجه الإنفاق على منتجات صناعات الدفاع الأوروبية حصراً

لندن، واكّدت رغبة الفرقاء الأوروبيين في التوقيع على اتفاق أمني جديد مع المملكة المتحدة، من شأنه أن يزيل العوائق من طريق مشاركة الشركات البريطانية. ويبدو أن الأوروبيين حريصون على امتلاك خطة متكاملة تتيح الاستغناء التدريجي عن الولايات المتحدة - باستثناء الأسلحة النووية -، وذلك قبل قمة حلف «الناتو» المقبلة في لاهاي، في حزيران المقبل. ويأتي هذا فيما يُتوقّع أن تفرض واشنطن على الدول الأعضاء، في أثناء تلك القمّة، رفْع مساهمتها المالية إلى مستوى الـ5% من الناتج المحلي القومي - من المستوى الحالي المحدد بـ2,5%، والذي لا يلتزم به معظم الأعضاء -، تحت طائلة التهديد بانسحابها من الحلف.

على أن محاولة التذاكي التي يقوم بها الأوروبيون من خلال تحقيق هدف الإنفاق الأعلى مع استبعاد مصنّعي السلاح الأميركيين من مشتريات الصندوق الدفاعي، قد لا تمرّ بسهولة على ترامب؛ إذ يُعتقد بأن ثمة دافعاً أساسياً وراء مشروع الرئيس الأميركي زيادة إنفاق دول «الناتو»، وهو توجيه نصيب الأسد من تلك الأموال الإضافية لابتياع العتاد وأدوات القتل من شركات أميركية وإنعاش الاقتصاد المحلّي. ومن شأن القرار الأوروبي بقصر الإنفاق على الشركات الأوروبية، أن يفرّغ المشروع من مضمونه، الأمر الذي قد يدفع ترامب إلى سحب مظلّة الحماية التقليدية والنووية عن أوروبا بصفة فورية.

تقرير

«الدعم» على طريق خسارة الخرطوم
حرب السودان: مفترق جديد

الخرطوم - **مي علي**

تمكّن الجيش السوداني من بسط سيطرته على القصر الجمهوري وعدد من الوزارات الحكومية وسط الخرطوم، بعد أن ضرب حصاراً محكماً على المنطقة لمدة أربعة أيام، قطع خلالها جميع خطوط الإمداد التي كانت تصل إلى قوات «الدعم السريع» المتواجدة في وسط الخرطوم ومحيط القصر، لقرابة عامين. وبإستعادة قصر الرئاسة، يكون الجيش قد استعاد معظم وسط الخرطوم، حيث المراكز التجارية والبنوك وعدد من المستشفيات ومقارّ الوزارات السيادية: الخارجية والداخلية والمالية والمعادن والزراعة.

وقال مكتب الناطق الرسمي باسم الجيش: «توّجت قواتنا اليوم نجاحاتها في محاور الخرطوم؛ حيث تمكنت من سحق شرذام ميليشيا ال دقلو الإرهابية في مناطق وسط الخرطوم والسوق العربي ومباني القصر الجمهوري... والوزارات»، لافتاً، في بيان، إلى أن القوات المسلحة «دفرت أفراد ومعدات العدو تدميراً كاملاً واستولت على كميات كبيرة من معداته وأسلحته في المناطق المذكورة». وبحسب التسريبات التي صدرت حول «معركة القصر»، فإن «الدعم السريع» فقدت الكثير من عناصرها، فيما هرب من بقي منهم على قيد الحياة، في الاتجاهين: الغربي والجنوب الغربي من مدينة الخرطوم في منطقة المقرن، وإلى مبانٍ استراتيجية في الناحية الجنوبية، تمترسوا فيها في شكل جيوب منفصلة بعضها عن بعض بالمباني العالية والمحال التجارية، حامين أنفسهم عبر مجموعة من القناصين.

وفي أول تصريحات عقب استعادة قصر الرئاسة، أكد رئيس مجلس السيادة، عبد الفتاح البرهان، أن المعركة مستمرة، لافتاً إلى أن القوات المسلحة التي يقودها «تمضي بخطى ثابتة». كما بثّ الجيش رسائل إلى عناصر «الدعم السريع»، مطالباً إيّاهم بالاستسلام، فيما قال قائد عمليات الخرطوم، اللواء محمد عبد الرحمن البيلاوي، في تصريحات صحافية، إن المهلة الممنوحة لهؤلاء «ليست مهلة مفتوحة»، وإنها «قد تنتهي اليوم أو غداً»، مشيراً، في الوقت نفسه، إلى أن الجيش يعمل على مطاردة قوات «الدعم» المنسحبة في اتجاه جنوب الخرطوم تمهيداً لعبورها جسر جبل أولياء ناحية غرب البلاد. وأكّد عزم الجيش على الضغط على بقايا «قوات حميدتي»، ونيته وضع خطة بالتعاون مع قوات تابعة له خارج ولاية الخرطوم، لقطع الطريق أمام «قوات الدعم» التي انسحبت نحو دارفور أو غرب كردفان.

> لعلّ ما شكّل نقطة فارقة في سير المعارك، هو التحام قوات سلاح المدرعات مع قوات القيادة العامة للجيش

وفي المقابل، أعلنت «الدعم السريع» أن معركة القصر «لم تنتهِ بعد»، لافتة إلى أنها لا تزال متواجدة في محيط المنطقة، و«تقاتل بكل شجاعة وإصرار من أجل تحرير جميع المواقع التي احتلتها الحركة الإسلامية»، حسبما ورد في البيان. وأشارت إلى أن عناصرها «نفّذوا عملية عسكرية خاطفة استهدفت تجمعاً... داخل القصر الجمهوري»، ما أسفر عن «مقتل أكثر من 89 من عناصر العدو وتدمير آليات عسكرية مختلفة».

على أن خطة استعادة القصر ووسط الخرطوم، كانت قد بدأت تسير بخطى واضحة، بعد تقدّم قوات منطقة الشجرة العسكرية (سلاح المدرعات) جنوب الخرطوم، شمالاً في اتجاه وسط الخرطوم، إذ تمكنت تلك القوات، خلال فترة وجيزة وعبر عمليات قتالية متواصلة طبّقت خلالها فنون حرب المدن والقتال في المناطق السكنية، من استعادة جميع المناطق الاستراتيجية والمجمعات السكنية ومواقف المواصلات العامة في شرونى وجاكسون، والمباني المحيطة بهما، والتي ظلّت تشكّل عقبة في طريق تقدّم الجيش نحو وسط الخرطوم، بسبب نشر «الدعم السريع» قناصين على أسطح المباني. ولعلّ ما شكّل نقطة فارقة في سير المعارك، هو التحام قوات سلاح المدرعات مع قوات القيادة العامة للجيش في الاتجاه الشرقي من العاصمة؛ إذ أمّنت هذه الخطوة عزل قوات «الدعم» المتواجدة في وسط الخرطوم والقصر الرئاسي تماماً، بعد إغلاق خطوط الإمداد عن قواتها في شارع المطار والستين، شرق الخرطوم، وفي جنوب الخرطوم، ليتمكّن الجيش، لاحقاً، من الزحف من الشرق والجنوب في اتجاه وسط الخرطوم.

ويعدّ خبراء استعادة القصر الجمهوري بمثابة «بداية النهاية» بالنسبة إلى «قوات الدعم» في الخرطوم، وفي جميع أنحاء السودان، خصوصاً أن غالبية القوات التي كانت تتواجد في داخله، تُعتبر من قوات النخبة في «الدعم»، والتي تنتمي إلى قبيلة قائده، محمد حمدان دقلو (حميدتي)، وهو ما يتفق معه المحلل السياسي، جمال علي، في حديثه إلى «الأخبار»، لافتاً، في الوقت نفسه، إلى أن استرداد الجيش للقصر «يضع إجراءات تكوين «الدعم السريع» وحلفائها، لحكومة موازية، في مهب الريح».

واعتبر أن «الدولة ستعمل على إعادة الحياة وترميم القصر والوزارات في أسرع وقت، تمهيداً لعودة الحكومة لمباشرة مهامها من قلب الخرطوم، الأمر الذي سيمنحها قوة وشرعية أكبر». وفيما بدت أهمية ورمزية القصر لدى «الدعم»، في خطاب «حميدتي» الأخير، والذي أكّد فيه أن قواته باقية في القصر الجمهوري، بل وفي الخرطوم ولن تخرج منها، يبدو أن تلك التصريحات كانت بمثابة المحفّز للجيش؛ إذ لم يمضِ سوى أسبوع على إطلاقها، حتى أصبحت قوات «حميدتي» بين قتيل وجريح وهارب خارج أسوار القصر الجمهوري.

تقرير

أزمة تركيا تتصاعد:
«الشعب الجمهوري» إلى الشارع

محمد نور الدين

قد يبلغ التوتّر بين السلطة والمعارضة ذروتَه، غداً، مع تحدّي جمهور «حزب الشعب الجمهوري» قرار حظر التحرّكات والتظاهرات، والذي أصدره محافظ إسطنبول لمدّة أربعة أيام تنتهي غداً، وذلك على خلفية اعتقال رئيس بلدية إسطنبول، أكرم إمام أوغلو. ويأتي هذا فيما يتوجّه ملايين من أعضاء الحزب إلى صناديق اقتراع خاصة بهم، لتحديد مرشّحهم للانتخابات الرئاسية المقبلة، علماً أن إمام أوغلو يُعدّ المرشّح الأقوى، والمضمون فوزه فيها. وأشار بيان المحافظة إلى أن الهدف من منْع التجمّعات والانتخابات «حماية النظام العام»، تحت طائلة اتّخاذ إجراءات قضائية بحقّ كل مَن يخالف القرار، في حين حذّر وزير الداخلية، علي يرلي قايا، الناس، من الانجرار وراء المحرّضين، واعتبر وزير العدل، يلماز تونتش، بدوره، أن التظاهر خلافاً للقانون، يُعدّ «انتهاكاً» له.

وكان زعيم «الشعب الجمهوري»، أوزغور أوزيل، قد وجّه نداءً حاسماً، حين قال: «من اليوم فصاعداً، لن نمارس السياسة في الصالونات بل في الشوارع والساحات»، محذّراً من أيّ محاولة لتعيين شخص آخر مكان إمام أوغلو في رئاسة بلدية إسطنبول، وبالتالي إخراج المحتجزين من داخلها، مؤكداً («أنّنا») سنظهر ردّ فعل ديموقراطي شديداً، ولن نخرج من المبنى». وبينما رأى أن الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، يخشى الانتخابات المقبلة، أشار أوزيل إلى نيّة هذا الأخير تعيين رئيس جديد للبلدية. وتابع: «اعتقال إمام أوغلو ليس مسألة فردية، بل هو نقطة تحوّل من زاوية الديموقراطية ومبادئ الدولة الحقوقية، ولا تخصّ فقط حزب الشعب الجمهوري، بل 86 مليون نسمة».

ومن سجنه، وجّه إمام أوغلو، بدوره، ثلاث رسائل، أولى إلى إردوغان اتّهمه فيها بأنه «اغتصب تطلّعات ثلاثة أجيال ومستقبل أبناء اليوم»، معتبراً «كل مَن شارك في هذا العمل، قذراً»؛ وثانية إلى جمهور «حزب العدالة والتنمية»، والذي دعاه إلى رفع صوته، لأن «الأمور تتجاوز حزباً معيّناً لتطال كل العائلات»؛ وثالثة إلى القضاء لكي «لا يبقى ساكتاً، ولينتفض على السلطة ويخدم الأمّة». وفي هذا الوقت، سُجل تطوّر مهمّ لجهة التنافس حتى داخل «الشعب الجمهوري»، بعدما بادر رئيس بلدية أنقرة، منصور ياواش، الذي يُعتبر بدوره مرشّحاً محتملاً وقوياً لمنافسة إمام أوغلو، إلى زيارة زوجه هذا الأخير، ديليك، في منزلها، وتصريحه بعد اللقاء الذي جمعه إليها، بأنه سيذهب إلى الانتخابات الداخلية التمهيدية، ويدلي بصوته لمصلحة إمام أوغلو.

وفي ظلّ التساؤلات عن موقف الأكراد ممّا يجري، لفتت زيارة تضامنية قامت بها رئيسة «حزب المساواة والديموقراطية للشعوب»، تولاي خاتم أوغولاري، إلى مبنى بلدية إسطنبول، حيث التقت أوزيل، وأعلنت أن «الحزب» ورغم أنه يواصل محادثاته مع العدالة والتنمية والحركة القومية في شأن نداء عبد الله أوجالان،

> جنحت الصحف الموالية إلى تجاوز فعل الانقلاب السياسي الذي حصل باعتباره «واقعاً لا عودة عنه»

ولكنه لا يستطيع إلّا أن يقف إلى جانب الديموقراطية والقانون والعدالة وإرادة الإسطنبوليين الذين انتخبوا إمام أوغلو رئيساً للبلدية». ورأت أنه «لا يمكن الحديث عن السلام الاجتماعي من دون الديموقراطية»، فيما وصف بيان للجنة المركزية للحزب الكردي اعتقال رئيس بلدية إسطنبول بأنه «انقلاب مدني»، مشدداً على أن «الحلّ الوحيد هو بالديموقراطية».

وفي الإطار نفسه، انتقد وزير التربية السابق، حسين تشيليك، الذي يُعتبر من مؤسّسي «العدالة والتنمية»، ما جرى لإمام أوغلو، قائلاً: «يجب ألّا ننسى أن الحزب الحاكم مرّ بطريق مشابه، حتى أصبح في السلطة». ومن جهته، قال الكاتب المُخضرم المعروف سابقاً بقربه من إردوغان والذي تحوّل إلى معارضته، فهمي قورو، إنه «من الصعب ألّا نجد تشابهاً كبيراً بين ما حصل لإردوغان عام 1998، وبين ما يفعله إردوغان بحقّ إمام أوغلو اليوم»، مضيفاً أن الرئيس الحالي «أقصى عن بلدية إسطنبول ثم سجن وكتبت الصحف حينها أنه لن يستطيع أن يصبح حتى مختاراً في قرية. ولكن إردوغان الذي لم يصبح مختاراً، أصبح كل شيء: نائباً ورئيساً للحكومة ورئيساً للجمهورية».

وفي المقابل، جنحت الصحف الموالية إلى تجاوز فعل الانقلاب السياسي الذي حصل باعتباره «واقعاً لا عودة عنه»، مقررةً أن «إمام أوغلو في طريقه إلى السجن بسبع تهم لن ينجو منها». وأسهبت تلك الصحف في الحديث عن مرحلة «ما بعد اعتقال إمام أوغلو»، إذ إن أحمد حاقان، في صحيفة «حرييات»، قال إنه «أمام حزب الشعب الجمهورية طريقان: إمّا أن يربط كل خطواته بمصير إمام أوغلو ويتّخذ الخطوات في ضوء ذلك، وإمّا أن يسلّم بالأمر الواقع ويبحث عن طريق جديد له».

لكن المفكر المعارض، إيمري كونغار، كتب في «جمهورييت»، أن «ما جرى هو «انقلاب مدني»، ولكنه ليس ابن لحظته، بل هو عملية ومسار. لذلك، إن ما ينتظرنا في المرحلة المقبلة طويل ومقلق»، في حين أشار أوزليم بوزاق، إلى أن «حزب العدالة والتنمية لم يَعُد بيده ليتّهم خصومه سوى أمزين: التحريض على تحرّك حديقة غيزي عام 2013، ودعم الإرهاب. والحزب بلغ هدفه المتمثل في ضرب رئيس بلدية إسطنبول التي فاز فيها إمام أوغلو، ليس مرتين، بل ثلاث، على مرشّح إردوغان».

احتجاج في منطقة بشكتاش في إسطنبول (أ ف ب)

مقالة

مغامرات إردوغان الخارجية ترتدّ عليه داخلياً

حسين إبراهيم

لا يمكن للجهاديين العيش في هذه المنطقة من دون أنظمة إسلامية قوية في دول كتركيا والسعودية. كما لم يكن ممكناً لتنظيمات من مثل «القاعدة» و«داعش» أن تكون أصلاً في بلدان كسوريا والعراق، لو لم تسمح تركيا بجيشها القوي وأجهزتها الأمنية بتدفّق الجهاديين من كل البلدان إلى هذين البلدين. إذ إن هؤلاء جاؤوا عبرها من آسيا الوسطى وأوروبا والخليج العربي والمغرب العربي ومن روسيا والصين. والواقع أن ما نشهده اليوم من حفلات دم، هو نتاج مباشر لاستخدام النظام الإسلامي في تركيا العقدة الجغرافية التي تمثّلها البلاد لنشر الفوضى في العالم العربي.

بدأ التأسيس لذلك مع وصول رجب طيب إردوغان إلى السلطة عام 2002، حيث لم تمضِ ثمان سنوات أستغلها الرجل لترسيخ نظامه الإسلامي بعد أن ضمنت له أميركا حياد الجيش العلماني شرط ألا يمس بالأسس العلمانية للدولة، حتى اندلعت الأحداث الدامية التي سُميت «الربيع العربي»، والذي نشهد بعد 15 عاماً من بدايته، النسخة الثانية منه. نسخةً تُظهر أن جوهره هو فرض سيطرة أميركية مطلقة على المنطقة، بمعاونة كل من تركيا والسعودية وإسرائيل، من دون أن يمنع ذلك وجود خلافات حقيقية ومنافسة على الأدوار بين الدول الثلاث الأخيرة. وإلا كيف لدولة مثل تركيا أن يكون لها هذا الوجود في سوريا والعراق وليبيا والسودان وأفغانستان وغيرها، من دون موافقة الأميركيين والأوروبيين؟

ثم ماذا يعني مثلاً أن ترعى أميركا وتشارك في اتفاق بين «قسد» والرئيس السوري الانتقالي، أحمد الشرع، على رغم العداء المتأصل الذي لا يقبل الحلول الوسط بين تركيا والمقاتلين الأكراد في سوريا، في حين أنها لا تتدخّل في أمر مماثل في السويداء؟ أليس لأن الأخيرة متروكة لإسرائيل، لإقامة دولة الجنوب السوري التي يراد سلخها عن البلاد؟ وهل يمكن مثلاً لدولة عضو في حلف «الناتو» أن تعمل ضد مصالح الحلف وتبقى عضواً فيه؟ هل يمكن لها أن تعمل ضد إسرائيل التي هي أساس هذا المشروع الكبير؟

وعلى المستوى الاقتصادي، لا تستطيع تركيا العيش بلا أحد أمرين: إما الحصول على مساعدات وإما البلطجة. وفي حين كانت قبل إردوغان تضع عينها على الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي لتعزيز اقتصادياتها، جرى دفعها نحو الشرق للحصول على «الغنائم»، وذلك لم يكن ممكناً لولا وجود الرئيس وحزبه الإسلامي في السلطة.

كل ذلك كان مقدّمات لدور تلعبه تركيا وتشارك فيه قطر ولا يتعارض لا مع دور السعودية ولا مع دور إسرائيل. فكل هؤلاء يتوزّعون الأدوار ضمن مشروع السيطرة الأميركية على هذه المنطقة.

الحقيقة أن ما حصل هو أن تركيا العلمانية أُلبست عباءة إسلامية لا تعدو كونها جزءاً من عدة الشغل، تماماً على طريقة فرق المستعربين الإسرائيلية، والتي يتنكّر عناصرها بثياب عربية ويتحدّثون لغة عربية، عندما يُرسلون لتنفيذ مهمات قذرة في الضفة الغربية أو قطاع غزة. وحتى هذا التنكّر لم تكن تركيا تعبأ بأن تداريه في الأشهر الأولى للعدوان على قطاع غزة، حينما كانت ترسل الألبسة العسكرية إلى الجيش الإسرائيلي، والأغذية والخضار الطازجة إلى الإسرائيليين، غير مكترثة لمئات الشهداء الذين كانوا يسقطون في غزة كل يوم، في مجازر هي ليست مستغربة عند إردوغان الذي ما فتئ يسمح بارتكاب مثلها، منذ أن أذن بتدفق الجهاديين إلى سوريا والعراق، وصولاً إلى مجازر الساحل السوري الأخيرة.

لم يكترث إردوغان لمجازر قطاع غزة، إلا عندما عاقبه الأتراك في الانتخابات البلدية الأخيرة، جاؤوا بأمثال أكرم إمام أوغلو، رئيس بلدية إسطنبول، والذي بعد حزبه «الشعب الجمهوري» المعارض، بسياسة أكثر منطقية وواقعية، وخصوصاً في سوريا، وأصبح اليوم التهديد الأول له في انتخابات الرئاسة لعام 2028، بدليل الاحتجاج الكبير الذي أطلقه سجنه بتهم فساد وإرهاب.

قد لا يكون واقعياً الحديث عن سقوط قريب لإردوغان، إلا أن الواضح أن الضيق منه في تركيا يتزايد، بالذات بسبب سياساته في دعم الجهاديين، والتي من دون شك مهّدت لمجزرة الطوبين في سوريا، وأزعجت علويي تركيا البالغ عددهم 20 مليوناً. إذ إنه أمعن بذلك في تمزيق تركيا نفسها من الداخل، لتزداد حاجة الأتراك إلى حكم أكثر هدوءاً وميلاً إلى التصالح، ولا سيما بعد دعوة عبدالله أوجالان أنصاره إلى إلقاء السلاح، في ما يمثل فرصة لإنهاء تمرّد عمره عشرات السنين، وكلّف البلاد ما كلّفها في الخسائر البشرية والاقتصادية.

السؤال الكبير الآن، هو هل ستسمح أميركا بسقوط إردوغان؟ وهل يمكن أن يكون لتركيا دور مختلف في هذه المنطقة تحت الرعاية الأميركية؟

أميركا أوّلاً!

سعد الله مزرعاني *

يطالعنا كل يوم جديد، بما كنّا نتوقّع أو لا نتوقّع، من التصعيد والعنف والدمار والقتل، في استهدافات تتوسّع وتتفاقم باستمرار كمّاً ونوعاً. هذا الأمر الذي يبرز عبر الأدوات والأساليب والوتائر، ليس هو، على هذا النحو، لجهة المضمون والجوهر والسياق الإستراتيجي، هو تبدل لا يتناول، إذاً، الأهداف الرئيسية. هذا طبعاً ينطبق على الطرف الدولي والإقليمي المعني أكثر من سواه بالصراع حول القضية الفلسطينية. عنينا، حصراً، الولايات المتحدة الأميركية، والكيان الصهيوني المغتصب والمستأنف لمشروع توسعي استيطاني استعماري بعنوان توراتي هو «إسرائيل الكبرى». يستهدف هذا المشروع معظم الشرق العربي. يطاول أيضاً، الشرق الأوسط، عندما يتعلّق الأمر بالمخطط الأميركي الذي يعمل في كنفه المشروع الصهيوني: بدءاً من احتلال فلسطين وتشريد شعبها ومطاردته المستمرين، بالموت والدمار، وصولاً إلى إعلان نتنياهو عن فرض إعادة رسم خرائط المنطقة لمصلحة تل أبيب وداعميها.

ليس هذا الأمر جديداً أو طارئاً. إنه حلقة في مسار ممتد، في مرحلته المعاصرة، منذ محطة التحول الدولي الانعطافي الأساسية، التي نجمت، ابتداءً من أوائل تسعينيات القرن الماضي، عن انهيار الاتحاد السوفياتي. في استرجاع سريع، أن موسكو السوفياتية، وبعد خطأ أو تواطؤ تمثّل في الاعتراف المفاجئ والمبكّر بالكيان الصهيوني عام 1948، تحوّلت، تباعاً، إلى دعم مبدئي وعملي شامل لحركات التحرّر والمقاومة على امتداد العالم. شمل ذلك الوضع الفلسطيني خصوصاً بعد نكسة عام 1967 التي أدّت إلى تعميق علاقة الاتحاد السوفياتي بمصر وسوريا وعدد آخر من الدول العربية، وإلى اعتراف موسكو بمنظمة التحرير الفلسطينية ودعمتها في مواجهة عدوانية توسُّعية صهيونية مدعومة من واشنطن والغرب في مرحلة احتدام «الحرب الباردة» التي استمرت حتى المرحلة الغورباتشوفية التي سبقت الانهيار ومهّدت له. إثر الانهيار السوفياتي، أعلنت واشنطن، بلسان منظري نظامها، وبلسان قادتها، انتصارها وانتصار نظامها النهائي والحاسم. كذلك فعل قادة العدو الصهيوني مستنتجين أن انتصار حلفائهم في العالم، هو انتصار مماثل لمشروعهم في فلسطين والمنطقة العربية، وحتى الشرق أوسطية.

مذّاك، ينمو التطرف في كيان العدو. ينمو، بوتيرة أوسع وأسرع، التيار الصهيوني اليميني المتشدد، والديني الصهيوني الفاشي والعنصري. شكّل نتنياهو، في مواقفه وكتاباته، أكبر رمز لهذا التيار. وهو، لهذا، حظي بأطول ولاية رئيساً لوزراء الكيان الصهيوني. في الانتخابات الأخيرة، تمكّن التيار الديني الفاشي من حصد نسبة وازنة، ما جعله شريكاً أساسياً وبيضة قبان في الحكومة الحالية.

التحوّل الثاني المهمّ حصل مع إطلالة الرئيس ترامب، أثناء، ولايته الأولى (2016-2020). مشروع «صفقة القرن»، اقترن المشروع بديناميه هجومية في مسألتي الضغط لإطلاق مسار تطبيعي رسمي عربي مع العدو، وتجاوز الشرعية الدولية والموقف الأميركي نفسه، لجهة اعتراف واشنطن بضم القدس والجولان السوري المحتل وبيهودية الدولة وبطابعها العنصري. يتجدد هذا المشروع الآن، بعد تجديد انتخاب ترامب، بصيغة أكثر عدوانية وعنفاً. يتجلّى ذلك في إطلاق التهديدات والإنذارات وحرق المراحل. يتجلّى، أيضاً، في دخول ترامب مباشرة على ملف المفاوضات وإلغاء مساراتها ونتائجها السابقة ومحاولة فرض بديل هو عبارة عن إملاءات وأوامر صادرة عن حاكم بأمره في هذا العالم، أو هكذا يريد أن يكون لتصبح «أميركا عظيمة» في عهده! يتجلّى كذلك في اللجوء إلى القوة كما يحصل في اليمن، وبالإنذارات باستخدامها كما بالنسبة إلى إيران.

ادّعى ترامب أنه يضع في رأس اهتماماته إنهاء الحروب والنزاعات. هذا زعم كاذب. إنه، بعقلية المقاول، يحاول التخلص من الحروب التي فشلت فيها دولته بعد أن حرّضت عليها وباتت شديدة التكلفة كالحرب الروسية – الأوكرانية. لكنه، في المقابل، يستمرّ في العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني لضمان انتصاره وتوسّعه وفرض إدماجه في المنطقة، بالتطبيع، قوياً بين ضعفاء وتابعين. لهذا الغرض أطلق ترامب مشروع تهجير غزة والضفة الغربية. أطلق أيضاً التهديد بـ«الجحيم» ضد المقاومة في غزة ما لم تطلق الأسرى فوراً، ما سمح للحكومة الفاشية في تل أبيب بلملمة خلافاتها وبتقويض اتفاق التبادل. إن ممثّل ترامب هو مَن أطلق صافرة الهجوم الدموي الإرهابي صباح الثلاثاء الماضي ما أسفر فوراً عن سقوط حوالى 1000 قتيل وجريح... ويستمرّ!

أمّا لبنان، فله «حصّته» الخاصّة. جهدت واشنطن، وفي تناغم بين الإدارتين الأميركية القديمة والجديدة، لتحويل العدوان الإسرائيلي على لبنان إلى حرب تخاض على جبهتي الحدود والداخل اللبناني، في الوقت نفسه. إنها تتواصل الآن كمعركة فرض وصاية على لبنان رغم أن نفوذ واشنطن فيه كان، دائماً، راجحاً وحاسماً في الكثير من المجالات والحقول. حققت واشنطن نقاطاً أساسية لمصلحتها، ولمصلحة العدو الصهيوني، في مجمل المسار الأمني والعسكري والسياسي حتى الآن. وهي تواصل استهداف المقاومة بالحصار المادي والسياسي والأمني فضلاً عن تحويل وقف إطلاق النار، بإشرافها، إلى عملية من طرف واحد حيث يواصل العدو خروقاته الفادحة والفاضحة التي تجاوزت الأربعة آلاف موزعةً ما بين القصف والتدمير والاغتيالات ومنع العودة والإعمار وتثبيت احتلال خمسة محاور هي بمنزلة منطقة محتلة عازلة. أمّا الهدف المعلن، وبوقاحة نادرة، فيتمثّل في محاولة تصفية المقاومة ومباشرة تطبيع العلاقات مع العدو وفقاً لشروطه وشروط واشنطن الاستسلامية.

يتّصل بذلك، ويشكّل المنعطف الثالث الخطير أيضاً، الانقلاب السوري الذي حمل إلى السلطة في دمشق فريقاً يُنفذ الأجندة الأميركية الإسرائيلية بواجهة تركية. وهو لم يتأخّر في تنفيذ الشق المنوط به: الاستسلام أمام العدو، واستهداف المقاومة ولبنان، بقوة السلاح أو الفتنة.

رغم صمت المجتمع الدولي، رغم تخاذل الأنظمة العربية وتواطئها المزمن إلى درجة الإدمان، رغم الإرهاب والتدمير والهمجية والمجازر، رغم تهديدات ترامب ومطالبة ممثليه للمقاومين بالاستسلام، فقضية فلسطين ومقاومة وتضحيات شعبها حاضرة، اليوم، في ضمائر كل أحرار العالم: قضية عدالة، وحرّية، وإنسانية، وبطولات مدهشة ستظل تلهم كل المناضلين ضد قوى الاحتلال والإجرام والهمجية والقتل والإرهاب.

* كاتب وسياسي لبناني

رفيق الحريري... كما تخيّله باسم السبع [8\8]

أسعد أبو خليك *

لا يزال الحديثُ هنا يتناولُ (للمرّة الأخيرة) كتاب باسم السبع الجديد، «لبنان في ظِلال جهنّم: مِن اتّفاق الطائف إلى اغتيال الحريري»، الصادر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر في بيروت. وهكذا اكتشفنا أنّ باسم السبع ورفيق الحريري تسبّبا، على الأرجح، في قتْل شابٍّ لبنانيّ قصْد السبع لتقديم خدماته للحريري (وسلّم الاثنان الرجل للمخابرات السوريّة)، يتّضح من سرديّة السبع أنّه (مِثل الحريري) فضّل غازي كنعان على رستم غزالة، والمفاضلة بين الرَّجُلَين لا يمكن أن تكون أخلاقيّة، بل قائمة على تفضيل الخاضع على الأقلّ خضوعاً. يعترف أنّ رفيق الحريري نظّم عمليّة تسليم مفتاح بيروت إلى كنعان ولكنّه اختار في الصياغة أن يجعل من عبد المنعم العريس المسؤول، مع أنّ الاحتفال كان في السراي الحكومي وبحضور رفيق الحريري نفسه. وفي الفقرة التي بعدها يعترف أنّ تسليم مفتاح بيروت كان قراراً من الحريري نفسه (ص. 233). الأرشيف لم يمحُ الصور من تلك المناسبة. ويقول السبع إنّ القرار خالف المزاج الشعبيّ المسيحيّ والسُّنّي والدرزي، أي إنّ الشيعة فقط كانوا الموالين للنظام السوري في لبنان. كلّ النواب الذين تمثّلوا، وبتأييد شعبيّ كبير وبرعاية من النظام السوري، خالفوا مزاج طائفتهم، بحسب نظريّة السبع. نكتشف في السرديّة أنّ السبع كان يعرف منزل رستم غزالة، لكنّه زاره ـ خلافاً للباقين الذين يصنّفهم بأنّهم ودائع النظام السوري ـ بإباء وشَمَم. قال غزالة للحريري إنّ السبع «لا يهاجمنا» (ص. 237) مع أنّ الذي يقرأ كتاب السبع وتصريحاته بعد (وليس قبل) خروج الجيش السوري من لبنان يخال أنّ السبع كان يقود حرب عصابات ضدّ النظام السوري في لبنان. يقول السبع إنّ رستم غزالة كان يتلقّى 50 ألف دولار من رفيق الحريري وخده. لكن لماذا؟ ألَم يكن ذلك ثمناً للبقاء في رئاسة الجُمهورية؟ لا يمكن أن تحاجج بأنّ المخابرات السورية ارتكبت الفظائع في لبنان (وهي بالفعل ارتكبت الفظائع) وفي الوقت نفسه تموّل هذه المخابرات. تمويلها من قبل الحريري هو المشاركة بغَيْنها في جرائم النظام السوري.

> لم يكن السبع صريحاً أبداً في الحديث عن دور الحريري في عمليّة صنع القرار 1559، إذ تجاهل اعتراف جوني عبده بدَور الحريري

ثم يروي قصة استدعاء الحريري من قبل بشّار الأسد لمطالبته بالتمديد للحُود. لحُود بالطاغية. هذه من الطرائف؛ لأنّ شيراك اللبنانيّة ووجاهها في تقرير مسألة الحرب والسِّلم». لكن لحُود كان رئيساً للجمهوريّة وهو بذلك رأس الدولة، لكنّ المعارضين كانوا يُنشدون دولة تتنصّل من مسؤوليّة الدِّفاع عن الجنوب في وجه إسرائيل، فيما كان الاحتلال ما يزال جاثماً على القسم الأكبر من الجنوب. وطالب المعارضون بتسليم سلاح «القدرات المالية» للحريري من باب الإنجازات وليس من باب شراء المسؤولين والكُتّاب في لبنان وفي العالم. لم يكن السبع صريحاً أبداً في الحديث عن دور الحريري في عمليّة صنع القرار 1559، إذ تجاهل اعتراف جوني عبده بدَور الحريري. ثم هو يتحدّث بتفصيل عن تأثير الحريري على السياسات نحو الشرق الأوسط ولكنّه يتجاوز دوره في القرار الشهير. يقول إنّه كانت هناك شائعات حول دوره لكن «لا يحطّ بذمّته»، كما نقول لبناني. لا يعلم. يعترف أنّه سمع من الحريري أنّ هناك قراراً يُعدّ من شأنه أن «يقلب الطاولة على لحُود وأدواته في لبنان» (ص. 251).

وفي أحد الأيّام، يُدخِل الحريري السبعَ إلى جناحه الخاصّ في منزله ويفتح له «خزنة كبيرة بحجم باب غرفة» ويقول للسبع: «هل سبق لك أن رأيتَ هذه الكمّية من سبائك الذهب؟» (ص. 258). يلاحظ القارئ أنّ الحريري كان يتلذّذ بإبهار السبع بحجم ثروته، ولاأمانة، فإنّ السبع كان شديد الانبهار. يصف وزراء حكومة عمر كرامي بأنّهم «أسماء ممسوكة من غُرف المخابرات السوريّة». لكنّ أشكّ أن يكون عمر كرامي (بحسب وصْف الحريري، ص. 241). وبدلاً من أن يتمرّد ويستقيل من الحُكم وينال حرّيته وكرامته، اختار أن يطيع.

الأسلوب الإنشائي للسبع متكلّف. يقول مثلاً «غرست الفوضى أظفارها في جسد العراق» أو «النظام العربي يتلوّى فوق صفيح العراق» (ص. 245)، وهذا التكلّف أذكره من خطبه في مجلس النوّاب، خصوصاً تلك التي قلّد فيها قِس بن ساعدة (معقول؟). يتحدّث عن انقسام لبناني حول الدَّور السوري ويصبح المُموّل الأكبر للمخابرات السوريّة في لبنان جزءاً من «حالة وطنية تعارض التّلاعب بالدستور، وتتقاطع مع الدعوات الخارجيّة لوقْف التدخّل السوري». لم يحدّد السبع هويّة الدعوات الخارجيّة. هل هي إسرائيليّة، مثلاً؟ أم أميركيّة؟ هل كان هناك غيرها في ذلك الحين، خصوصاً أنّ الحريري جلب شيراك المطبع إلى بيروت في 1996 كي يعلن تأييده للسيطرة السوريّة على لبنان. يقول إنّ شيراك وصف في مذكّراته بشار كان مُزعجاً جدّاً للحريري: 1) لم يكن يقبل الرشاوى على غرار إلياس الهراوي المُطيع. 2) إميل لحُود (مثل والده جميل لحُود في زمانه) آمن بالعدالة الاجتماعية. ومفهوم العدالة الاجتماعيّة يتناقض بالكامل مع رأسماليّة الحريري. تضايق الحريري كثيراً من جلسة التأنيب بحضور بشّار الأسد. الصهيوني، في مجمل المسار الأمني والعسكري والسياسي حتى الآن. وهي تواصل استهداف المقاومة بالحصار المادي والسياسي والأمني فضلاً عن تحويل وقف إطلاق النار، بإشرافها، إلى عملية من طرف واحد حيث يواصل العدو خروقاته الفادحة والفاضحة التي تجاوزت الأربعة آلاف موزعةً ما بين القصف والتدمير والاغتيالات ومنع العودة والإعمار وتثبيت احتلال خمسة محاور هي بمنزلة منطقة محتلة عازلة. أمّا الهدف المعلن، وبوقاحة نادرة، فيتمثّل في محاولة تصفية المقاومة ومباشرة تطبيع العلاقات مع العدو وفقاً لشروطه وشروط واشنطن الاستسلامية.

يتّصل بذلك، ويشكّل المنعطف الثالث الخطير أيضاً، الانقلاب السوري الذي حمل إلى السلطة في دمشق فريقاً يُنفذ الأجندة الأميركية الإسرائيلية بواجهة تركية. وهو لم يتأخّر في تنفيذ الشق المنوط به: الاستسلام أمام العدو، واستهداف المقاومة ولبنان، بقوة السلاح أو الفتنة.

رغم صمت المجتمع الدولي، رغم تخاذل الأنظمة العربية وتواطئها المزمن إلى درجة الإدمان، رغم الإرهاب والتدمير والهمجية والمجازر، رغم تهديدات ترامب ومطالبة ممثليه للمقاومين بالاستسلام، فقضية فلسطين ومقاومة وتضحيات شعبها حاضرة، اليوم، في ضمائر كل أحرار العالم: قضية عدالة، وحرّية، وإنسانية، وبطولات مدهشة ستظل تلهم كل المناضلين ضد قوى الاحتلال والإجرام والهمجية والقتل والإرهاب.

* كاتب وسياسي لبناني

(هنّ الويبه)

في البيان هذا، إذ وردت عبارة «حقّ الدولة الطائفة. وأذكّر تلك المرحلة وأذكّر أنّني (ومَن أنا؟) حادثتُ الحصّ في الموضوع ورجّوته أن يردّ على الحملات المُتجنّية ضدّه من قبل الإعلام الحريري ولكنّه رفض وكان قاطعاً في قوله: «لن أنزل إلى هذا المستوى». كَنّ الحريري الكثير من الكراهية لسليم الحصّ والاحتلال ما يزال جاثماً على القسم الأكبر من الجنوب. وطالب المعارضون بتسليم سلاح «القدرات المالية» للحريري من باب الإنجازات وليس من باب شراء المسؤولين والكُتّاب في لبنان وفي العالم. لم يكن السبع صريحاً أبداً في الحديث عن دور الحريري في عمليّة صنع القرار 1559، إذ تجاهل اعتراف جوني عبده بدَور الحريري. ثم هو يتحدّث بتفصيل عن تأثير الحريري على السياسات نحو الشرق الأوسط ولكنّه يتجاوز دوره في القرار الشهير. يقول إنّه كانت هناك شائعات حول دوره لكن «لا يحطّ بذمّته»، كما نقول لبناني. لا يعلم. يعترف أنّه سمع من الحريري أنّ هناك قراراً يُعدّ من شأنه أن «يقلب الطاولة على لحُود وأدواته في لبنان» (ص. 251).

وفي أحد الأيّام، يُدخِل الحريري السبعَ إلى جناحه الخاصّ في منزله ويفتح له «خزنة كبيرة بحجم باب غرفة» ويقول للسبع: «هل سبق لك أن رأيتَ هذه الكمّية من سبائك الذهب؟» (ص. 258). يلاحظ القارئ أن الحريري كان يتلذّذ بإبهار السبع بحجم ثروته، ولاأمانة، فإنّ السبع كان شديد الانبهار. يصف وزراء حكومة عمر كرامي بأنّهم «أسماء ممسوكة من غُرف المخابرات السوريّة». لكنّ أشكّ أن يكون عمر كرامي (بحسب وصْف الحريري، ص. 241). وبدلاً من أن يتمرّد ويستقيل من الحُكم وينال حرّيته وكرامته، اختار أن يطيع.

الأسلوب الإنشائي للسبع متكلّف. يقول مثلاً «غرست الفوضى أظفارها في جسد العراق» أو «النظام العربي يتلوّى فوق صفيح العراق» (ص. 245)، وهذا التكلّف أذكره من خطبه في مجلس النوّاب، خصوصاً تلك التي قلّد فيها قِس بن ساعدة (معقول؟). يتحدّث عن انقسام لبناني حول الدَّور السوري ويصبح المُموّل الأكبر للمخابرات السوريّة في لبنان جزءاً من «حالة وطنية تعارض التّلاعب بالدستور، وتتقاطع مع الدعوات الخارجيّة لوقْف التدخّل السوري». لم يحدّد السبع هويّة الدعوات الخارجيّة. هل هي إسرائيليّة، مثلاً؟ أم أميركيّة؟ هل كان هناك غيرها في ذلك الحين، خصوصاً أنّ الحريري جلب شيراك المطبع إلى بيروت في 1996 كي يعلن تأييده للسيطرة السوريّة على لبنان. يقول إنّ شيراك وصف في مذكّراته بشار

بلاد النكبات والخيبات... والأمل

بدر الحاج *

الحروب الأهلية في لبنان في الأعوام 1840 و1860 هجّرت كثيرين من جبل لبنان إلى بيروت ثم إلى شتى أصقاع الأرض ولم يعودوا. أهوال الحرب العالمية الأولى وما رافقها من حصار ومجاعة وجراد، أعطت أيضاً دفعاً لهجرات كثيفة مماثلة. وتواصل النزيف البشري نتيجة الأحداث السياسية وتبعاتها الدموية التي عصفت ببلادنا في القرن العشرين. وكانت قمة التدمير لمجتمعاتنا في حرب لبنان خلال السبعينيات، وما تلاها من حرب تدمير العراق وسوريا ثم لبنان مجدداً. وغني عن القول إن جلجلة الشعب الفلسطيني متواصلة منذ أن وصل أول مستوطن يهودي إلى فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر حتى اليوم.

جميع تلك الحروب والنكبات في القرن العشرين يعود بعض أسبابها بشكل مباشر إلى الوجود الصهيوني في فلسطين والذي بسببه تم تفجير الحروب الداخلية التي استفاد منها العدو لاحكام سيطرته وقضم المزيد من الأراضي. اختلقت أكاذيب مثل أن السيادة منقوصة في لبنان بسبب الوجود الفلسطيني الذي يريد الاستيطان وليس تحرير بلده، وانتقل التحريض ضد السوري، واليوم ضد فئة من اللبنانيين. وفي العراق كانت كذبة أسلحة الدمار الشامل مدخلاً للاحتلال. أما في سوريا، فالتهمة هي أن الحكم ديكتاتوري، وهو كذلك، ولكن في المقابل جميع الأنظمة العربية الخاضعة للأوامر الاميركية هي واحة للديموقراطية.

ما شهدته سوريا في الأسابيع الأخيرة من جرائم الإبادة ليس بجديد على التاريخ الإرهابي الدموي لـ«جبهة النصرة» التي تولت الحكم في دمشق. مشاهد القتل سبق أن شاهدناها في مرحلة الحرب على سوريا منذ عام 2011. لكن المخيف في جرائم الإبادة الحالية أن موجات كبيرة من النازحين والمشردين سيحاولون المستحيل للهجرة إلى أقصى مكان في الكرة الأرضية هرباً من الموت المحتم. بشر من لحم ودم ولدوا على هذه الأرض، كآبائهم وأجدادهم منذ مئات آلاف السنين، اقتلعوا من أرضهم كما اقتلع الفلسطينيون.

يضاف إلى سياسة الاقتلاع، تشظي المجتمع السوري واستغلال الصهاينة انهيار الدولة السورية واحتلالهم مناطق شاسعة من جنوب سوريا وإعلانهم أنهم «سيحمون» الدروز، وأضافوا إليهم الشركس، وسبق لهم أن «حموا» المسيحيين في لبنان ووثقوا تحالفهم و«حمايتهم» للقيادات الكردية الانفصالية في سوريا والعراق.

بلادنا تنزف بشراً، وفي المقابل يستقبل الكيان الصهيوني المهاجرين الجدد. الأرض جاهزة للاستيطان، وحيث تصل الدبابة الإسرائيلية تصل أقدام المستوطنين. نعم لا يمكن إنكار نجاح الغرب والصهاينة في نبش خلافات واجتهادات دينية تعود إلى آلاف السنين، وإعادة نشرها وتعميمها وغسل أدمغة البشر لتطفو مجدداً على السطح وتكون أمضى سلاح في أيديهم لتمزيق بلادنا. استعملت القوى الغربية سلاح الاجتهادات الدينية والخلافات المذهبية لاختراق شعوبنا في القرن التاسع عشر. واليوم في عصر الإعلام الذي يصل كل بيت، جرى تطوير وتحديث أساليب إحياء تلك الخلافات، وانطلقت عملية تدمير ذاتي ممنهج ومنظم مع احتلال العراق، ومن هناك انتشرت بتمويل لا حدود له في أنحاء بلادنا كافة.

إذا استرجعنا ما حدث من جرائم بحق العراقيين، ابتداء من حصارهم ثم احتلالهم، لا يمكن للعقل أن يتصور أن هذه الأحقاد لا تزال معشعشة في عقول بشر في هذا العصر. دخل العراق في حرب استنزاف داخلي لا تزال متواصلة حتى اليوم، والمحتل جاثم على صدور العراقيين ينظم مواصلة نهبهم وتقاتلهم، ويسمح للمتقاتلين ببعض فتات من المال النهوب. تصارعت الطوائف في ما بينها وتمزق شمل كل طائفة، والمايسترو الذي ينهب العراق ويدمره، يعيش في أحسن حال.

سابقاً، لم تكن تجد في الغرب سوى أعداد قليلة من المهاجرين العراقيين. بعضهم هاجر بعد الإطاحة بالحكم الملكي عام 1958، والبعض الآخر هرب من طغيان الأنظمة الحاكمة والخلافات السياسية بين الأحزاب والضباط المتنافسين على السلطة. لكن رغم كل ذلك كانت أعداد الذين رحلوا نهائياً عن العراق قليلة نسبياً. أمّا اليوم، ومع انتشار «الديموقراطية» الأميركية وتحكم الميليشيات الطائفية، تجد في كل مكان عراقيين يبحثون عن بلاد جديدة للإقامة النهائية فيها. هذا مع العلم أن العراق، بموارده البشرية والطبيعية، هو حتماً أغنى من أي بلد قد يختارونه للعيش فيه.

سبق لبنانُ العراقَ في عملية التّزيف البشري وتهجير الناس. حروب المذاهب في القرن التاسع عشر، والصراعات التي تلت حتى اليوم، نتيجتها واضحة أمام الجميع. وتتلخّص في أن طموح اللبناني اليوم الحصول على جواز سفر أو بطاقة إقامة مؤقتة أو تأشيرة دخول بلد ما تمهيداً للهجرة. لذلك تنتشر إعلانات ضخمة على الشوارع الرئيسية، جنباً إلى جنب مع إعلانات عن السيارات والأحذية والمجوهرات ومختلف المواد الاستهلاكية، عن جواز السفر، تغري اللبناني بالحصول عليه في مقابل دفع مبلغ كبير من المال.

أذكر، عندما كنّا طلاباً في المدارس الثانوية، كنّا ندرس مادة عن الهجرة وأسبابها. والمهزلة أن البرنامج التربوي العنصري المعتمد في المدارس اللبنانية الرسمية كان يلقي اللوم على الاتراك في الحصار الذي أدّى إلى المجاعة والهجرة أثناء الحرب العالمية الأولى، مع العلم أن الحصار كان تركياً وغربياً. ويمضي البرنامج التربوي في تقديم صورة وردية للهجرة باعتبارها صفة متأصلة في جينات اللبناني «الذكي والمتميز» عن غيره من الشعوب. الطموح إلى السفر والاستكشاف، ويربط ذلك ببعد إيديولوجي وهمي مستعيناً بقصص عن طموحات الفينيقيين واستعمارهم قرطاجة وبالمستكشف القرطاجي حنون. كل ذلك لتبرير فشل مشروع النظام الطائفي الذي زرعه المستعمرون الفرنسيون في عام 1920 والمستمر حتى اليوم.

بالعودة إلى سوريا، كانت سوريا، كما العراق قبل الاحتلال الأميركي، بلداً مكتفياً ذاتياً، لا ديون ولا سيطرة على المرافق العامة من قبل الشركات الغربية. لم يكن الحكم في العراق وسوريا مثالياً، لكن لم يسبق لهما أن شهدا هذا الإجرام المتنقل والممول من قبل الغرب ومريديه في العالم العربي. قد يبدو هذا الكلام مزعجاً لفريق أميركي وصهيوني الهوى من العراقيين والسوريين واللبنانيين الذين سيسارعون إلى تهمة أنني أدافع عن الأنظمة الديكتاتورية. إلا أن الشمس الساطعة لا يحجبها غربال، والسوريون، كالعراقيين، كالليبيين، سيترحّمون عاجلاً أم آجلاً على الأنظمة الديكتاتورية التي سادت سابقاً مقابل التشظي المتواصل والنزيف الحالي والذي يبدو أن لا نهاية له في الأفق.

لقد دخلت سوريا في نفق دموي مظلم سيؤدي، كما نلاحظ اليوم، إلى المزيد من الهيمنة الصهيونية والتركية معاً وبالتكافل والتضامن. لم تشهد سوريا سابقاً، خلال ما سمي الحكم الوطني أو حكم الكتلة الوطنية، وحتى الانقلابات العسكرية، لم تشهد عبر كل تاريخها هذا النوع من الإجرام والتمزق الذي بدأ في عام 2011 والذي بلغ الأوج في مجازر الأسابيع الأخيرة. تم تجويع السوريين واستنزافهم من قبل الأميركيين المتحالفين مع التكفيريين بتنسيق مع الأتراك والصهاينة والمولين العرب لسبب وحيد فقط هو عدم انضمام دمشق إلى قافلة الاستسلام الحالي، وليس إطلاقاً بسبب الاستبداد كما يشاع. عوقب السوريون على رفضهم. لذلك مُزّق النسيج الوطني للشعب السوري كما سبق أن مُزّق العراق. الأخطر من كل ذلك أن الجيش الإسرائيلي على أبواب دمشق، والغارات الصهيونية متواصلة على الأرض السورية. والصمت مطبق من حكّام دمشق الجدد الذين أعلنوا أنهم لا يعادون أحداً إلا حزب الله وإيران، وللحصول على شهادة حسن سلوك هجموا على القرى اللبنانية الحدودية وتجاهلوا الاحتلال الصهيوني، واضح أن هناك مايسترو ينسق بين الهجمات على لبنان من قبل الصهاينة وهجمات التكفيريين على الحدود الشرقية.

نعم بلادنا بلاد النكبات والخيبات، ولكنها أيضاً بلاد حقق شعبها المعجزات قتالاً وبذلاً لكل ما يملك في سبيل هذه الأرض، والميدان خير دليل. علّمنا تاريخ هذه البلاد أن شعبنا لن يستكين على التسلّط والظلم وعلى حكّام تحوّلوا متاعسبة بإرادات خارجية. أمنيات الغرب وأنظمة الاستسلام العربية سحق روح المقاومة في شعبنا، وستثبت الأيام أنها مجرد أحلام. في النهاية، نحن نعيش على أمل تعميق الوعي والثبات ومواصلة التصدي ورفض الأمر الواقع الذي هو حتماً بمنزلة مخدر سينتهي مفعوله عاجلاً أم آجلاً.

* كاتب لبناني

* كاتب عربي
«asadabukhalil@» حسابه على إكس

قضية

التوتر الأميركي ـ الكندي إلى الرياضة: مستقبل «المونديال» في خطر؟

لا يترك الرئيس الأميركي دونالد ترامب فرصة لتقديم نفسه على أنه متفوّق على الآخرين، حتى لو كان هذا الآخر هو جاره الكندي. ترامب أعرب عن رغبته بضم كندا إلى الولايات المتحدة، فخلق أزمة كبيرة وصلت ارتداداتها إلى عالم الرياضة

ظهر التوتر الكندي ـ الأميركي جلياً في مباراة هوكي بين المنتخبين في بطولة الأمم الأربع الأخيرة

حسين فحص

مع بدء العد التنازلي لانطلاق منافسات كأس العالم 2026 لكرة القدم، تطفو إلى السطح أسئلة جوهرية حول تنظيم البطولة وأمنها في ظل الحرب التجارية التي فرضتها الولايات المتحدة الأميركية على شريكتيها في استضافة الحدث العالمي: كندا والمكسيك.

في الأسابيع الأخيرة، أثارت تصريحات الرئيس دونالد ترامب وسياسيين أميركيين آخرين بشأن كندا غضباً على جانبي الحدود، وخلقت إجراءات مثل الرسوم الجمركية على الواردات الكندية إضافة إلى التهديدات بضم كندا، بيئةً عدائية، ما يهدد مستقبل بطولة كأس العالم المقبلة، أو بالحد الأدنى يطرح علامات استفهام حول تنظيمها من دون مشكلات تُذكر.

الرئيس المنتخب دونالد ترامب حاول التقليل من آثار حربه التجارية على «المونديال»، فاعتبر أن التوترات التجارية مع «الجارتين» من شأنها تعزيز استضافة كأس العالم 2026. ومع ذلك، تثير المؤشرات الحاصلة في كندا على وجه التحديد قلقاً متزايداً في الأوساط الكروية، وسط مخاوف بأن تتفاقم الأمور.

ومنذ أن هدّدت إدارة ترامب لأول مرة بفرض رسوم جمركية على السلع المستوردة الكندية، امتدت تداعيات ذلك من الساحة السياسية إلى الملاعب. وزاد الأمر سوءاً استفزاز السكرتيرة الصحافية للبيت الأبيض، كارولين ليفيت، للكنديين قبل مباراة هوكي جمعت البلدين منذ مدة، متبنّيةً سردية ترامب بقولها: «نتطلع إلى فوز الولايات المتحدة على كندا، الولاية الأميركية الحادية والخمسين التي ستصبح قريباً».

في ضوء ما حصل، كثرت الاعتراضات الكندية، وجاء بعضها من بوابة الرياضة. بصفتهما جارتين مباشرتين، تتشارك الولايات المتحدة الأميركة وكندا في بطولات رئيسية لمعظم الرياضات، مثل كرة السلة (NBA) وكرة القدم والهوكي، مع تشكيل هذه الأخيرة فخراً للكنديين.

وسط الأزمة، ظهر التوتر الكندي ـ الأميركي جلياً في مباراة هوكي بين المنتخبين في بطولة الأمم الأربع الأخيرة، حيث كانت هناك حساسية ملموسة بين اللاعبين على وقع صرخات استهجان من المشجّعين الكنديين تجاه المنافسين ونشيدهم الوطني، ما جعل أستاذ العلوم السياسية بجامعة كونكورديا، دونال جيل، يقول: «هذا هو الوضع الأكثر توتراً في السياسة الرياضية بين الولايات المتحدة وكندا في التاريخ».

> **أزالت بعض المناطق الكندية أعلام الولايات المتحدة من ملاعبها**

لكنّ الاعتراضات الأبرز والأكثر حزماً جاءت من خارج عالم «الألعاب»، وصبّت إجراءاتها، على سبيل المثال لا الحصر، في المنشآت الرياضية. ظهر ذلك في مدينة ميسيسوجا الكندية التي أعلنت إزالتها جميع الأعلام الأميركية من الملاعب الرياضية والمواقع على طول بحيرة أونتاريو. وصوّتت بلدات أخرى في أونتاريو، مثل ويست لينكولن، على إزالة العلم الأميركي من ساحات الهوكي المحلية، مع ترجيح سير غالبية المناطق الكندية لإزالة الأعلام الأميركية من مختلف الملاعب والمضامير.

تُعد هذه الخطوات جزءاً من موجة واسعة للمشاعر القومية في كندا، إذ أعلن أكثر من مصدر أن قرار إزالة الأعلام الأميركية اتُّخذ استجابةً لملاحظات السكان الذين طالبوا بمزيد من «المظاهر الواضحة للفخر والتضامن الكندي في هذه المدة من عدم اليقين المتزايد». ورغم أن هذه الإجراءات تندرج تحت الإطار المعنوي، إلا أنها تبقى لفتة رمزية تؤكد أهمية دور الرياضة في الخطاب السياسي.

حول العالم

باتريك كلويفرت يبحث عن التوازن

تعهد الهولندي باتريك كلويفرت مدرب إندونيسيا الجديد، بأنه فريقه سيُظهر رد فعل في المباراة الحاسمة أمام ضيفه البحرين الثلاثاء المقبل ضمن التصفيات المؤهلة إلى كأس العالم 2026 لكرة القدم. واستهل كلويفرت نجم برشلونة الإسباني السابق، مشواره مع إندونيسيا بشكل كارثي بخسارة فادحة أمام أستراليا (1-5) الخميس ضمن منافسات المجموعة الثالثة. وحسمت اليابان تأهلها من المجموعة بتصدرها، بعدما فازت على البحرين بهدفين نظيفين ورفعت رصيدها إلى 19 نقطة، فيما تحتل أستراليا المركز الثاني بعشر نقاط، بفارق نقطة عن السعودية وأربع عن إندونيسيا والبحرين والصين.

ويتأهل إلى النهائيات مباشرة بطل ووصيف كل من المجموعات الثلاث، على أن يخوض الثالث والرابع في كل منها الدور الرابع المؤهل لمنتخبين آخرين. وسيكون هنالك فرصة لمقعد أسيوي إضافي عبر دور خامس في ملحق عالمي.

وأكد كلويفرت الذي تولى تدريب إندونيسيا في كانون الثاني أن فريقه يجب أن يستعيد توازنه بسرعة قبل مواجهة الثلاثاء في جاكرتا.

دورة ميامي: غوف وسابالينكا إلى الدور الثالث

بلغت البيلاروسية أرينا سابالينكا المصنفة أولى عالمياً والأميركية كوكو غوف الثالثة الخميس الدور الثالث من دورة ميامي للألف نقطة في كرة المضرب، في حين خرجت الكازاخستانية إيلينا ريباكينا السابعة من الدور الثاني. وفازت سابالينكا على البلغارية فيكتوريا تومّوفا 6-3 و6-0 في مباراة استمرت لمدة 58 دقيقة فقط، فيما احتاجت غوف لوقت أقل وتحديداً إلى 47 دقيقة لسحق مواطنتها صوفيا كينن بطلة أستراليا المفتوحة عام 2020 بمجموعتين نظيفتين 6-0 و6-0. في المقابل، لم تتمكن ريباكينا من السير على خطوات البيلاروسية والشابة غوف (21 عاماً) إذ خسرت أمام الأميركية اشلين كروغر (20 عاماً) بثلاث مجموعات 6-4 و6-2 و6-4.

كما بلغت التونسية أنس جابر الدور ذاته بفوزها على التشيكية كاترينا سينياكوفا 6-4 و7-6 (9-7)، وحذت حذوها اليابانية ناومي أوساكا، وصيفة بطلة الدورة عام 2022، بتغلبها على الروسية ليودميلا سامسونوفا 6-2 و6-4. وتابعت الأميركية دانييل كولنز حملة الدفاع عن لقبها بفوز صعب على الرومانية سورانا تشيرستا 6-4 و7-6 (7-3). وقلبت الأميركية هايلي بابتيست تأخرها بمجموعة أمام الروسية داريا كاساتكينا الثانية عشرة وفازت عليها 3-6 و6-4 و7-5، وتغلبت اليونانية ماريا سكّاري على الإيطالية لوتشيا برونزيتي 3-6 و7-5 و6-4.

إعداد **نعوم مسعود**

كلمات متقاطعة 4773

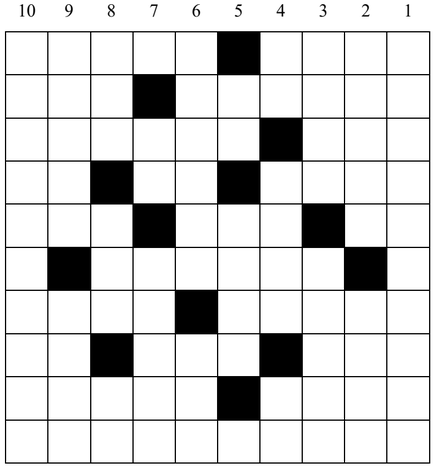

أفقيا

1- إسم الكوفية في بعض البلدان العربية – الجرائد – 2- من الأزهار – حيوان بحري – 3- خوف – لاعب تنس أميركي سابق كان يلعب بيده اليسرى – 4- مدينة مصرية شهيرة بمعامل السكر – ضاع – سعل – 5- جرذ بالأجنبية – شركة نفط – مصرف بالأجنبية – 6- مدينة أميركية في كاليفورنيا – 7- من أنبياء العهد القديم – مدينة سورية – 8- ولد الغارة والهرة والأرنب – هارب – للتمني – 9- بائع الزيت – دولة أفريقية – 10- ملك إنكليزي

عمودياً

1- رئيس راحل لدولة جورجيا – 2- ماركة سيارات – بلدة لبنانية في قضاء المتن – 3- أساعد وأعاون – عاصفة مرعبة – 4- حزن وكرب – ابن أوى بالعامية – شاي بالأجنبية – 5- بحر – صانع الأحذية – 6- شبه جزيرة تركية تعرف باسيا الصغرى – لمس – 7- تعب وأعيا – نتماهل نؤخرّ ونؤجل – 8- إناء الطعام – فرّق وبعثر – ضمير متصل – 9- منطقة في سوريا – من القطع النقدية الصغيرة – 10- تسمية تطلق على المنطقة الجبلية في قضاء كسروان

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- فيليب بيتان – 2- نفور – ثلج – 3- نادر – القوّي – 4- لن – تين – رب – 5- سم – هي – كندا – 6- تر – سنوي – 7- بدوي – فل – رس – 8- كالور – نمير – 9- يريدنا – هُنا – 10- نكت – المروج

عمودياً

1- فرن – بكين – 2- المتدارك – 3- لندن – روليت – 4- يفرّ – يود – 5- بو – تيس – رنا – 6- براي – نف – ال – 7- لنكولن – 8- تثق – ني – مهر – 9- الورد – رينو – 10- نجيب السرّاج

sudoku 4773

		7	9	1		2		
1			8			7		6
5			3			8		
	7			6	3		8	
8	3				9		5	7
	9						1	
		8			1			
3		6			5			4
		2		3	7	1		

حلول الشبكة السابقة

7	8	2	3	4	9	5	1	6
6	1	9	5	7	2	8	4	3
4	3	5	6	8	1	7	2	9
3	5	6	9	2	7	1	8	4
9	4	8	1	6	5	3	7	2
2	7	1	8	3	4	9	6	5
5	9	4	7	1	6	2	3	8
1	6	3	2	9	8	4	5	7
8	2	7	4	5	3	6	9	1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 70

كلمة السر من 7 حروف : فيلم سينمائي لبناني

الغربة – النجدة – النبي – بوسطة – بدوي – حذر – خلاص – خوف – خط – ربيع – زوزو – سكر – بنات – سيدة – شربل – شارع – صح – ضجر – ظل – غزلان – فن – قمر – مثل – نكبة – يارا

ة	ب	ك	ن	س	ا	ا	س	ف	ل	
ب	د	و	ي	ل	ي	ك	ر	ن	ث	
ف	و	خ	غ	ش	ر	ب	ف	ا	م	
ظ	ل	ر	ص	ب	ر	ن	ن	ب	ي	
ر	ب	ر	ن	ا	ا	ب	و	ل	ة	
ة	و	ا	ب	ل	ل	س	ل	د	ا	
س	ت	ز	ز	ي	ط	خ	ج	ش	ب	
ر	ي	غ	و	ة	ع	ن	ر	ا	ض	
ط	خ	د	ل	ز	ل	ص	ذ	ر	ج	
ق	م	ر	ة	ا	ك	ح	ح	ع	ر	

حلول الشبكة السابقة: الشوبك

عملية حسابية 70

شروط اللعبة: ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

	X		٪		=	25
X	■	+	■	X	■	
6	+		٪		=	7
–	■	٪	■	+	■	
	X		–	17	=	63
=	■	=	■	=		
44		5		29		

حلول الشبكة السابقة

91	–	84	X	8	=	56
٪	■	–	■	X	■	
13	+	16	X	3	=	87
X	■	٪	■	–	■	
9	+	4	X	3	=	39
=	■	=	■	=		
63		17		21		

شبكة العنكبوت 70

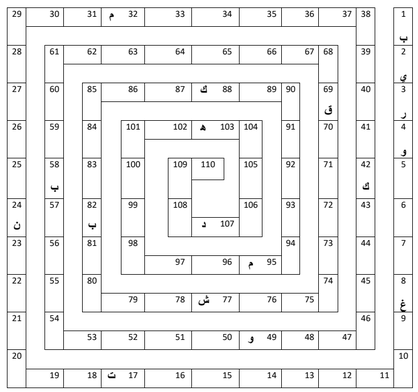

1 – 4 دولة في اميركا الجنوبية
3 – 12 ملعب كرة مضرب في باريس
12 – 24 ممثل اميركي له سلسلة افلام « روكي »
23 – 32 مدينة في ولاية كارولينا الشمالية مركز هام لتصنيع التبغ والسجائر
30 – 37 ساحات الحروب
35 – 42 مغنية لبنانية
42 – 49 ولاية أميركية عاصمتها دنفر
48 – 58 رئيس اميركي
58 – 66 رئيس سوري سابق
65 – 73 بحيرة لبنانية
73 – 79 عاصمة موريتانيا
79 – 84 مدينة لبنانية
83 – 89 اغنية لأم كلثوم
88 – 95 رياضة كروية
94 – 99 مدينة مصرية
98 – 102 من الطيور
101 – 105 إحياء وتعب
105 – 110 وادٍ في لبنان الشمالي

حل شبكة العنكبوت السابقة

أمون – وندسور – سور الغزلان – انديانا بوليس – سيتروان – انس بن مالك – كريستوف كولومبوس – وسواس – اسكتلندا – دانتي البغبيري – ريبال – المهاتما غاندي – دينار – ارواد – ادونيس – سيام – امبل زولا – لا بالما

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمّة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 4773

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

لبناني من روّاد الإصلاح الإسلامي (1865-1935). توفي في مصر

1+1+3+5+2 = عين غزيرة الدمع ■ 4+7+9+6 = طريد لا مأوى له ■ 8+10 = مخالف

حل الشبكة الماضية: **بوريس جونسون**

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 22 آذار 2025 العدد 5457

تكنولوجيا

2025 عام الميتافيرس: ستُقيمون في عالم الأصفار والآحاد!

مع التطورات المتسارعة في عالم التكنولوجيا، يعود الحديث عن الميتافيرس، رغم الشكوك التي طالته في السنوات الأخيرة. لكن هل سيصبح هذا العالم الافتراضي امتداداً للواقع أم بديلاً منه؟

قد يصبح الميتافيرس منصة لأنشطة متعدّدة

علي عواد

في تشرين الأول (أكتوبر) من عام 2021، أعلن مؤسس شركة فايسبوك، مارك زوكربيرغ، عن تغيير اسم الشركة إلى «ميتا»، في إشارة إلى مفهوم «الميتافيرس»، الذي يمثل مستقبل الإنترنت وفقاً لتصوّر الشركة. وأكد زوكربيرغ أن «ميتا» ستنخرط بشكل كامل في تطوير هذا العالم الافتراضي، بهدف إنشاء فضاء رقمي تفاعلي يجمع المستخدمين في بيئة جديدة كلياً، بعيداً من التواصل التقليدي المعتمد على شاشات الحواسيب والهواتف الذكية. والميتافيرس عالم رقمي واسع يحاكي الواقع الحقيقي، يستطيع المستخدمون التفاعل داخله عبر شخصيات افتراضية (أفاتارات) داخل بيئات ثلاثية الأبعاد مصممة بعناية. ويعتمد هذا العالم على تقنيات متقدمة، مثل الذكاء الاصطناعي ونظارات الواقع الافتراضي والمعزّز، ما يجعله مشابهاً للحياة اليومية من ناحية واقعية الصورة. ومع استمرار التطور في هذا المجال، قد يصبح الميتافيرس منصةً لأنشطة متعدّدة، تشمل العمل، والترفيه، والتسوق، وحتى التعليم. عملياً، ممارسة مهمات الحياة اليومية داخل عالم رقمي.

لكن منذ لحظة إعلان زوكربيرغ عن الخطة، التي أتت بعد فترة صعبة عاشتها البشرية مع الوباء، وما تخلّله ذلك من حجر وإغلاقات، انخفض مستوى الحديث عن الميتافيرس. ووصل الأمر بالبعض إلى القول إن الميتافيرس مات، وإن هذه التقنية لن تبصر النور أبداً. فهل هذا هو الواقع فعلاً؟

منذ عام 2014، أي بعدما استحوذ عملاق منصات التواصل على شركة Oculus التي تصنع نظارات الواقع الافتراضي، أنفقت «ميتا» أكثر من 100 مليار دولار على تقنيات الواقع الافتراضي والمعزّز، بما في ذلك نظاراتها الذكية وفقاً لـ«فايننشال تايمز». ويرى زوكربيرغ أن 2025 سيكون عاماً حاسماً في هذا المجال. في 2024، استثمرت الشركة 20 مليار دولار في قسم Reality Labs، محققة إيرادات بلغت 2,1 مليار دولار رغم خسائر تشغيلية وصلت إلى 17,7 مليار دولار. وبينما باعت الشركة مليون زوج من نظارات Ray-Ban Meta الذكية، لا تزال سماعات Quest تواجه صعوبة في الانتشار الواسع. مشكلة «ميتا» وفقاً لرؤية زوكربيرغ، أن منصاتها بحاجة إلى حواسيب وهواتف وأنظمة تشغيل تصنعها شركات أخرى ولا سيما «آبل» و«غوغل» كي تعمل، إلا أنه يراهن على تقنيات الذكاء الاصطناعي والواقع المعزز والافتراضي لإعادة تعريف تجربة المستخدم والسيطرة على الجيل القادم من التكنولوجيا. بكلمات أخرى، بدلاً من دخول المستخدمين إلى منصات التواصل التي تملكها «ميتا» عبر أجهزة «آيفون» أو هواتف «أندرويد»، تريد الشركة منهم أن يدخلوها عبر أجهزة تصنعها هي. ولهذا تنفق «ميتا» عشرات مليارات الدولارات في مشروع الميتافيرس.

من الانتباه إلى الحضور

بمعزل عن مخاوف شركة «ميتا» من عدم سيطرتها على سوق الأجهزة، إلا أن الحاجة إلى الميتافيرس نابعة من مكان آخر. فقد وصل المستخدمون حول العالم إلى نوع من حالة إشباع في نموذج «الانتباه».

إذا ما تمعّنا في ما يحصل بيننا وبين تطبيقات الهاتف، نجد أن الأخيرة تحولت إلى نوع من حيوان أليف مثل الكلب بحاجة إلى أن نمنحها انتباهنا باستمرار. وهي تتنافس في ما بينها على من يأخذ أعلى انتباه من المستخدم. ودائماً ما كان الانتباه سلعة ثمينة في العصر الرقمي، إذ بُنيت المنصات على نموذج اقتصادي قائم على جذب المستخدمين وإبقائهم متصلين لأطول مدة ممكنة. ومنذ ظهور الإنترنت وانتشار التطبيقات والمنصات والمواقع الإلكترونية، أصبح الانتباه مورداً تتنافس عليه الشركات، ما أدى إلى ظهور «اقتصاد الانتباه» Attention Economy، الذي يقيس نسبة نجاح المنصات الرقمية بقدرتها على حبس المستخدم داخل بيئتها الافتراضية، سواء عبر الإعلانات، أو الإشعارات، أو تصميم الواجهات التي تشجع على التصفح المستمر من دون انقطاع.

تستخدم خوارزميات السوشل ميديا الذكاء الاصطناعي لاستهداف كل مستخدم بمحتوى يتناسب مع اهتماماته، ما يعزز استهلاكه للمزيد من المعلومات من دون تفكير. وكل دقيقة يقضيها المستخدم على هذه المنصات تعني المزيد من البيانات التي يمكن جمعها، والمزيد من الإعلانات التي يمكن بيعها. هكذا، أصبح «الانتباه» عُملة غير ملموسة ولكنها ذات قيمة هائلة في السوق الرقمي.

لكن هذا النموذج بدأ يصل إلى حدوده. إذ مع ازدياد الإشباع الرقمي، أصبح المستخدم أكثر إدراكاً لتأثير هذه المنصات في صحته النفسية وسلوكه. وبالتوازي، اقتصار عملية التصفح والـ Scrolling على الشاشات بدأ يفقد جاذبيته، وخصوصاً مع تطور تقنيات الواقع الافتراضي والمعزّز، التي تقدم نموذجاً مختلفاً.

وهنا يأتي دور الميتافيرس لتحويل التجربة من مجرد جذب الانتباه إلى تحقيق «الحضور الفعلي». في هذا العالم الرقمي الجديد، لا يكفي أن يكون المستخدم متلقّياً للمحتوى، بل يُراد منه أن يكون «متفاعلاً بجسده وحواسه» داخل عوالم افتراضية يعيش فيها كما لو كان جزءاً منها.

الحضور أكثر قيمة من الانتباه

في السوشل ميديا التقليدية، يمكن للمستخدم مشاهدة مقطع فيديو أو قراءة منشور من دون تفاعل معه (يُطلق على هذا الفعل «التصفح الزومبي» أو Zombie Scrolling). لكن في الميتافيرس الأمر مختلف، إذ يدخل المستخدم إلى مساحة افتراضية، يتحرك فيها، يتفاعل مع العناصر والأشخاص، ويؤثر في مجريات الأمور، ما يخلق تجربة أكثر ارتباطاً وتأثيراً. والانتباه هو مجرد تركيز يمكن أن يتشتت بسهولة، لكن الحضور أقوى ويفرض تفاعلاً أعمق وانغماساً كلياً في بيئة رقمية.

وهنا تكمن القوة الاقتصادية لهذا النموذج: إذا استطاعت الشركات قياس مدى «الحضور الفعلي» للمستخدمين داخل العالم الرقمي، فإن ذلك يفتح فرصاً جديدة للإعلانات، والمنتجات الافتراضية، والتجارب المدفوعة الإعلانات عبر الشاشة. وقد تدفع الشركات في المستقبل القريب عملات مشفرة مقابل ساعات الحضور في الميتافيرس.

وكما سيطرت السوشل ميديا على انتباهنا في العقدين الماضيين، فإن الميتافيرس وتقنيات الواقع الافتراضي والمعزّز قد تتحول إلى منصّات مصممة لجذب «حضورنا الفعلي». هذا يعني أن التفاعل مع التكنولوجيا لن يكون مجرد استهلاك سلبي، إنما تجربة حقيقية تتطلب اندماجاً جسدياً وإدراكياً، ما يصعّب الانفصال عنها أو مقاومة تأثيرها. وعندما يحصل ذلك، سنفقد الكثير من الأصدقاء في العالم الحقيقي، كونهم سيعيشون هناك في عالم الأصفار والآحاد.

اليوم، لا يعني غياب مصطلح الميتافيرس في العناوين والأخبار، موتَ هذه التقنية، فقد تعرّض المصطلح للتشويه والشيطنة من قبل كبرى الصحف والمواقع وصحافيي التكنولوجيا، وهو أمر مبرر إلى حد كبير، نظراً إلى المخاوف المشروعة من خلق عالم افتراضي قد يعزل المستخدمين عن الواقع الحقيقي. مخاوف لم تبق محصورة بالمستخدمين، إنما وصلت أيضاً إلى الرؤساء التنفيذيين وصناع القرار في الشركات الكبرى، ما أدى إلى إعادة التفكير في كيفية تقديم هذه التكنولوجيا. إضافةً إلى ذلك، لا تزال تقنيات الميتافيرس غير ناضجة بما يكفي لتحقيق الرؤية الطموحة التي رُوّج لها في البداية، أكان من ناحية العتاد أو البرمجيات أو حتى تقبّل المستخدمين لها. ولهذا، نلاحظ تحولاً في المصطلحات المستخدمة داخل الصناعة، فصارت شركات التكنولوجيا تركّز على الواقع المعزّز بدلاً من الميتافيرس. بدلاً من الوعود بعوالم افتراضية متكاملة تسجن المستخدمين، يجري التركيز الآن على تقنيات مثل النظارات والعدسات اللاصقة الذكية، التي تضيف عناصر رقمية إلى العالم الحقيقي بدلاً من استبداله بالكامل.

بهذا الاتجاه، يبدو أن مستقبل التكنولوجيا لن يكون بالهروب إلى واقع افتراضي منفصل، بل في دمج الرقمي مع الحقيقي بطريقة سلسة وتدريجية، وبهذا يصبح العالم الافتراضي امتداداً للواقع، وليس بديلاً منه. ومن يريد عندها الانفصال عن الواقع الحقيقي إلى الافتراضي، فهذا متاح له، لكن التسويق لن يتكلم عن الأمر مثلما حصل بداية.

تحية

النبيل الذي لا ينسى

كامل مهنا

يا حبيبنا وصديقنا وعزيزنا المحامي الكبير نبيل مشموشي، لماذا لوّنت أيامنا بالحزن، وبلّلت أحلامنا بالدمع، وسكنك الصمت بعدما كنت من أفضل المتفوهين. يا شريكنا المتميز في مشوار «مؤسسة عامل الدولية»، مسؤولاً عن مسارها القانوني، ورئيساً لهيئة الرعاية الوطنية لمشاريعها، ومساهماً في اقتراح تطويرها، وجادّاً في خدمة فقراء الناس وتنمية المجتمع وتطويره، وفي خط الدفاع الأول عن الأفكار التغييرية والتقدمية في المجتمع، هاجسك أن تنتصر الديموقراطية والعدالة وشرعة حقوق الإنسان، مدافعاً عن فكرة الإنسان المواطن، في وجه كل المشاريع الطائفية، ورافضاً لكل المشاريع الفتنوية بين أبناء الوطن الواحد، وطامحاً معنا إلى تأمين الكرامة الإنسانية لكل مهجّر، أو نازح، أو مقهور، أو مظلوم، أو مهمش. أيها الزميل والأستاذ الجليل نبيل الشموشي، كنت رائداً في عملك كمحامٍ ناجح ومتألق، أسّست شركتك للمحاماة مع ثلة من زملائك الأفاضل، فكنت جديراً بالاحترام، حازماً حيث يجب، وليّناً حيث تدعو الظروف، وقادراً دائماً على بلورة القرارات بمهارة، ودقة، وعلم واسع بالقوانين والمراسيم والحقوق. لم تكن لتقف عند حدود مهنتك، فأنت من تشعّ إنسانيته وعلمه ومعرفته على مجتمع أوسع، وقد رحت تسهم في تأسيس جمعيات، وتلعب دوراً رائداً في خدمة أبناء بلدتك ومنطقتك ووطنك، مساعداً في التخفيف ما أمكن من مشكلات المجتمع الذي هو في أشد الحاجة إلى أمثالك. أسفي عليك أن تصبح، بعد كل هذا الصخب، ذكرى، وتترك فراغاً واسعاً، ويجرحنا رحيلك، كما جرحنا، من شهور، رحيل الدكتور المؤرخ إبراهيم بيضون، شريكنا في تأسيس «عامل»، وزميلينا عالم النفس الدكتور مصطفى حجازي والقاضي الشريف رشيد مزهر، ومن قبل رحيل أستاذنا الكبير الرئيس سليم الحص الذي كان صديق المؤسسة، وقبله الصديق العزيز جورج قرم، وقبلهم راعي أنشطة المؤسسة بآرائه وتغطيته الإعلامية، وتوأم الروح الأستاذ طلال سلمان. يتهاوى الأصدقاء، واحداً بعد الآخر، وتقطر العينان حزناً، لكنه شأن الدنيا، وما علينا إلا أن نستمر في العطاء، وتبقى المؤسسة جيلاً بعد جيل، تنشد التفاؤل وسط كل ما يحيطنا من بؤس، وما يحيط الأمة من خذلان، ووسط ما جرى في لبنان من عدوان إسرائيلي شرس، وما أصاب غزة والضفة في فلسطيننا الحبيبة من مجازر لم يشهد التاريخ مثيلاً لها. فتلك قناعتك أيضاً، وذلك التفاؤل نفسه الذي كنت تمهره ببسمتك المشرقة، وأنت تعمل ليل نهار في سبيل الوصول إلى أهدافك. أعطيت وما قصرت أبداً طوال حياتك، وشحنت أوقاتك بالتعب، فإلى جانب عملك في شركة المحاماة الناجحة التي أسستها منذ 47 عاماً، وعملك في إدارة فرع جمعية «أوكسفام» في لبنان، وكنت من المتحمسين لتشكيل الجمعيات والمؤسسات الإنسانية، وداعماً لعطائها. ورغم كل تلك المهمات الصعبة التي حملتها في قلبك وعقلك، لم يكن حضورك في مؤسستنا هامشيّاً، إنما كان أساسيّاً ومهماً ومنتجاً، وخسارتنا كبيرة في فقدك وغيابك.

وداعاً أيها النبيل الذي لا ينسى.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي
كلمات
السبت 22 آذار 2025
العدد 5457 السنة التاسعة عشرة
Samedi 22 Mars 2025 nº 5457 19ème année

2 يوسف الخازن... الذي رأى إسرائيل

(هيثم الموسوي)

عيد الأم

بحثًا عن قاسم من الهرمل إلى يارون

رماح إسماعيل

على مدخل يارون (جنوب لبنان)، وعلى بُعد أمتار من الاحتلال الأكثر إجراماً في العالم، كنّا نحن الفتية والشبان والرجال نحاول بكلّ ما نملك من عقيدة التراب أن نزيح الساتر الترابي اللعين الذي يقف حائلاً بيننا وبين القرية الحدودية المدمرة كلياً جراء معارك البقاء والانتماء التي شهدتها بين المقاومين اللبنانيين والمغتصبين الصهاينة. كانت تجلس هناك، خلف جدار بالكاد يقف باستقامة، تضع يدها على خدها وتنظر إلينا، وتنتظر...

لم تفزع، ولم تبرح مكانها، رغم ما بادل به جنود العدو أهل القرية العائدين إلى ركامهم لينهضوه مجدداً، بين أصوات الطلقات النارية التي لم نكن نعرف من أي صوب تباغتنا، وعلى وقع القنابل التي كانت ترميها المسيّرات فوق رؤوسنا لإخافتنا وإبعادنا. لم أكن أستطيع أن أزيح نظري عنها، ظلت عيناي تراقبها، كانت كالمنحوتة التي صنعها جنوب وبقاع، ورسم ملامحها الصبر. لكنّ دمعة كانت تسبح في عينها، لم تستطع إخفاءها، تساقطت عند أول سؤال سمعته مني: «أنت ليش هون يا خالتي؟».

كانت الغاية من سؤالي معرفة ما الذي يأتي بامرأة تخطت السبعين من عمرها إلى نقطة حدودية ساخنة؟ ما الذي يجعلها تنتظر؟ وما الذي سينهضها من وراء الجدار، لتمضي نحو يارون معنا.

أم قاسم، هذا اسمها، ولا اسم لها غيره، ولن تسمح لأحد بمناداتها إلا به. قالت: «قاسم هنا، في مكان ما، قد يكون على بعد خطوات فقط أو ربما ليس له أثر، لكن بالتأكيد، سأجد ملابسه وأغراضه، ولن أتوه عنها لو اتسخت ببقايا الحطام رائحة قاسم أنا أعرفها، وشممتها مراراً، وصلت من يارون إلى الهرمل (محافظة بعلبك . الهرمل البقاع اللبناني)، فأتيت إليه». لم تقبل منّا العزاء، بل التهنئة فقط. الأم التي قدمت ابنها القادم من أقصى الشمال، كرمى لعين أقصى الجنوب، كانت تنتظر أيّ أثر له، لا تطمع بالجسد، فالجسد فانٍ كما وصفت، إنما هي نار الشوق التي لا تنطفئ إلا باحتضان بقايا من نحبّ، ولو كانت تلك البقايا، قطعة من قماش مدمّى.

ملف

«الشيخ الكسرواني» أحد آخر النهضويين

يوسف الخازن... الذي رأى إسرائيل

بول مخلوف

يعيد الباحث غسان الخازن في كتابه «رؤية يوسف الخازن للدولة اليهودية (دراسة تحليلية)» (دار نلسن ، 2025) تسليط الضوء على مثقف لبناني فذّ إنّما على مثقف استثنائيّ لمع في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

يعود غسان الخازن إلى يوسف الخازن، «الشيخ الكسرواني» المولود عام 1871 في جبل لبنان، هذا الرجل الذي يبدو اليوم مجهولاً أو مغموراً، بوسعنا التجرؤ على وصفه بأنه أحد آخر النهضويين.

في تاريخ منزوعة عنه الأسطرة الأمراء، بل مساراً يثير الجلبة. نقرأ ما تيسر من سيرة يوسف الخازن فنجد أن نهايته تتماثل مع بدايته: في المنفى. هذه ضريبة يدفع ثمنها الثوار عادةً. لم يفتعل يوسف الخازن ثورة ولم يدعُ لواحدة ولكنه لا يختلف عن الثوار كثيراً.

> أنجز يوسف الخازن كتابه الرؤيوي بعد مرور عامين على وعد بلفور، عندما كان المشروع الصهيوني يضمر مبتغاه

بطاقة تعريف

بعد تخرجه من الكلية الإنجيلية السورية، توظف يوسف الخازن في الإدارة المالية في مصلحة «الدومين المصرية الأجنبية». وسرعان ما تخلّى عن وظيفته، وانغمس في الصحافة كان جلّ ما أراده هو البقاء على تماس مع قضايا مجتمعه. لقد كان يوسف الخازن رائداً في إصدار الصحف والمجلات، لعلّ أبرزها جريدة «الأخبار» المصرية، ومجلات مثل «الخزانة الشهرية» (1900) و«بريد الأحد» (1902).

هاجر يوسف الخازن إلى فرنسا هرباً من حكم الإعدام الغيابي الصادر بحقه من الديوان العرفي بسبب نشاطاته المعادية للسلطنة العثمانية، فعمل في جريدة «لو تان» (le temps) الفرنسية ثم عاد إلى لبنان في أواخر عام 1919 وعيّن عضواً في اللجنة الإدارية للبنان الكبير عام 1920.

سيصبح الخازن نائباً في المجلس النيابي لثلاث دوراتٍ متتالية (1922-1925-1929) ولكنه، وهذي نقطة مائزة، لم يختلف مع الفرنسيين على «إدارة الإنتداب»، بل اختلف معهم حول الانتداب نفسه.

يروي لنا غسان الخازن أنّ مقالات يوسف الخازن النقدية الساخرة ضد «مسيو كيلا» حاكم لبنان الكبير آنذاك تحت عنوان «حديث الكلاب» أثارت ضجة واسعة في جميع الأوساط، وقد تحوّل عداؤه تدريجياً من عداء للمنتدبين إلى عداء للدولة المنتدبة. في أواسط الثلاثينيات، عقد يوسف الخازن علاقات وثيقة مع إيطاليا الموسولونية التي زارها برحلة وفد صحافي إلى جانب إسبانيا الفرنكية. وعلى أثر إعلان الحرب العالمية الثانية، اعتقلت سلطات الانتداب يوسف الخازن ووضعته في الإقامة الجبرية في أحد أديرة ريفون، وعطلت جريدة «البلاد» (1934) الذي كان يصدرها في لبنان إلى جانب جريدة «الأرز» (1921).

بعد قيام حكومة فيشي، أخلي سبيل يوسف الخازن وعاد إلى مزاولة نشاطه السابق. إلا أنه عند اجتياح قوات الحلفاء للبنان، فرّ إلى تركيا ثم إلى إيطاليا «ووجد نفسه منفياً من جديد كما كان في مطلع شبابه وكان المنفى قدره». بقي يوسف الخازن في إيطاليا حتى وافته المنية عام 1962. من مقرّه في روما، استمرّ يوسف الخازن في نشاطه السياسيّ. إذ اعتاد كل يوم جمعة أن يتوجّه إلى جمهوره في الشرق الأوسط عبر «راديو باري» في حديث سياسي مبثوث، محذراً فيه من انتصار العالم الأنغلوساكسوني الذي نكبهم في الحرب العالمية الأولى، ومن وعد بلفور الذي سوف «ينكبهم مرة ثانية في حال انتصاره (العالم الأنغلوساكسوني) مرة جديدة».

تتبدى بعض ملامح يوسف الخازن أمامنا بعد قراءة كتاب غسان الخازن. عدا عن كونه قارئاً نهماً يمتلك مخزوناً ثقافياً هائلاً، نكتشف نباهة يوسف الخازن، الصحافي الحذق، الذي يُبدع في كشط الزيف والكشف عن المستور. كتب يوسف الخازن «الدولة اليهودية ـ وجهة نظر أحد أبناء البلاد» بعد مرور عامين على وعد بلفور، عندما كان المشروع الصهيوني يضمر مبتغاه. روجت الصهيونيّة نفسها بدايةً باعتبارها: «تبحث عن الأرض المتوافرة. لسنا بصدد انتزاع الملكية أو التعدي على حقوق أحد، بل أن نستقر حيث المكان الشاغر وأن نعيش ولنا أطيب العلاقات بجيراننا».

غير أنّ يوسف الخازن استطاع رصد، منذ البداية، النوايا المخبوءة عند الصهاينة ولم تقنعه المرونة التكتيكية التي أظهرها الصهاينة كأنه كشف خداعهم المتّبع. فقد اعتاد دعاة الصهاينة كتم مرادهم والإعلان عن مطلب يناقض مطلبهم الحقيقي الذي يخفّونه.

تعاطى يوسف الخازن مع المشروع الصهيوني بالفجاءة نفسها التي يكتنفها هذا المشروع الذي حاول عزّابوه جاهدين ستر حقيقته عبر شعاراتٍ ديبلوماسية براقة مفعمة بالسلاسة. إنّ المشروع الصهيوني عند يوسف الخازن منذ بداية التلويح به، هو استيطانيّ، ينطوي على عنفٍ وعلى رغبة عارمة بالتوسع، أي إنّ المشروع الصهيوني مشروع إحلالي بالضرورة.

إنها رؤية «نبوئية» كما يصفها غسان الخازن لسبب وحيد: لأنها جاءت عام 1919، ففي ذاك الوقت كان الحديث عن المشروع الصهيوني مهادناً، في أنّه لم يعر اهتماماً للنهم التوسعي عند الصهاينة أو اعتراه الزيغ؛ فالتحليلات برمتها اكتنفها شيء من الريبة تجاه اليهود وغرقت في التفسير الديني. ما يميّز كتّاب يوسف الخازن أنّه رأى باكراً الصهيونية باعتبارها مشروعاً تدميرياً، بروم «التحقق في فلسطين وعلى فلسطين» ولن تقف أي حدودٍ حائلاً أمامها لأنها، أي الصهيونية، أشبه بـ«الأجسام الغازية» التي لا تعرف سوى التمدد «بسبب حاجتها الاقتصادية وتطلعاتها القومية».

تعاطى يوسف الخازن مع الصهيونية كمشروع أيديولوجي مترسخ، وهنا ما يميّز هذا الشخص أيضاً: هو لم يأخذ على محمل الجد تقلّبات الدول الراعية للوعد البلفوري. فالخازن ولو أنه كان يتوجه إلى إنكلترا- التي عدّلت في مرحلة الثورة الفلسطينية الأولى من موقفها وأصدرت «الكتاب الأبيض» الذي نصّ على كبح هجرة اليهود إلى فلسطين وغيرها من البنود التي أثارت سخط المؤتمر الصهيونيّ- لم يكن ليعوّل على تعديل أيديولوجيّ ـ أي بطال خشونة المشروع الصهيوني ـ قد ينبع من تعديل سياسيّ. فالمشكلة الأساسية بالنّسبة إلى يوسف الخازن، كامنة في مؤتمر السلم المعقود عام 1919 في باريس، وهي سنة إصداره لكتيبه، لأنه «رأى، لتقرير مصير فلسطين، الاستماع إلى الصهاينة ممن لا ناقة لهم ولا جمل في تلك البلاد (فرنسا) بدل الإصغاء إلى ممثلي فلسطين المعتمدين».

«نبوءة» ونصّ طليعي

يعد كتّيب يوسف الخازن «الدولة اليهودية- وجهة نظر أحد أبناء البلاد» نصاً طليعياً. هو ينطلق من توصيف المستشرق الفرنسي إرنست رينان القائل إن الكيان الصهيوني «مشروع معادٍ للطبيعة». بيد أنّ الخازن لا يعلل طرحه وفقاً لتفسيرات غيبيّة أو أخرى جوهرانيّة تخص يهودية الشعب اليهودي.

يكتب في ختام كتيّبه «سيكونون (اليهود) كما قال الشاعر، هم أصحاب المنزل ونحن الضيوف». عداء يوسف الخازن مع المشروع الصهيوني هو عداء مع مشروع «سيّئ الإلهام، رجعي، غير ممكن، بل إنه خطر». ولأن القيمين على هذا المشروع كانوا حائرين في البداية حول المكان الذي سيرسو مشروعهم عليه، فإن الخازن يرفض بأن يكون «مستقبل إسرائيل في إقامة دولة يهودية في فلسطين أو في أي مكان آخر».

كان يوسف الخازن جازماً حيال المشروع الصهيوني. موقفه من المسألة الصهيونية لهو موقف أيديولوجيّ بختزل كلّاتي: تهيمن الصهيونية على أراضٍ ليست لها وتستبدل شعباً بآخر، ولا تلبث التوسع فتنحو صوب حدودٍ أخرى لإشباع رغباتها الاقتصادية، ولن يكون بالإمكان احتواء حركة مماثلة. بيد أنّ كثراً في زمن الخازن، وعلى رأسهم الملك فيصل، ارتؤوا أنه بوسعهم الانصهار مع المشروع الصهيوني، أو التعايش معه، وخصوصاً إذا اقتصر الأمر على فديرالية تدار وفقاً للحكم الذاتي كما نظّر جورج سيمنه.

ليست الأمور بهذه السذاجة عند يوسف الخازن. كان الخازن يفنّد التصاريح الواردة بوصفها خطاباً يحمل أيديولوجيا قائلها. على سبيل المثال، نجده يعود إلى ما أورده كاتب يهودي يدعى إسرائيل زانغويل، ليبني موقفه المفارق انطلاقاً مما أفصح به الأخير.

يكتب الخازن: «يعتقد زانغويل أنّ بالإمكان استبعاد العنصر غير اليهودي المقيم في فلسطين عبر دفع تعويض مالي له وإن رفض هؤلاء المساكين الإذعان يتغلب زانغويل على أمرهم بأن يعلنهم بحماسة المبتدئين، بدواً، ويطبق عليهم مبدأ انتزاع الملكية بالقوة. وقد تتساءل بعض النفوس الورعة إذا ما كان القانون يعتبر ملكية البدو أقل قدسية من ملكية الحضر وإذا ما كان هؤلاء المساكين بدواً فعلاً؟ لكن هذه الأسئلة تبقى عديمة الفائدة منذ لم يعد هناك «قضاة في برلين» (عبارة تعني انتصار الحق على القوة)».

وسط نصّ زاخر بالإحالات، مغمس بالاستعارات الأدبية البديعة التي يستعين بها يوسف الخازن لصقل حجته ولفتح أفق جديد في المسالة المطروحة، نراه، بين الفينة والأخرى، يخفف من حدّة الإيقاع ويتكئ على الباحة. هكذا نراه يجيب عن تساؤل بديهيّ: «باستطاعة العالم الذي عاش ألفي سنة بلا دولة يهودية أن يستمر في الاستغناء عنها قرابة عشرين قرناً أخرى».

ما الفائدة إذاً من إنشاء دولة يهودية؟ ما النفع منها، وما هو الجديد الذي ستجلبه يا ترى؟ يعود يوسف الخازن إلى تصريح لهيرتزل أفاد فيه عن قيام دولةٍ علمانية عقب إنشاء الوطن اليهودي، ثم يجلب الخازن قول لحاخام فرنسيّ تساءل على إثر إعلان هيرتزل «كيف يمكن لدولة علمانية أن تكون يهودية؟». يطرح الثاني سؤاله ممتعضاً فيما يوسف الخازن يشهر الحقيقة بوجه ادعاء هيرتزل زائف. يلعب يوسف الخازن مع المفارقات، نحن إزاء بلاغة أسلوبية رفيعة.

إنّ المشروع الصهيوني عند الخازن بكل ببساطة مرفوض رفضاً قاطعاً لأنه معادٍ للطبيعة؛ لأنه توسعيّ: «للناحظ أن المنظمات الصهيونية لا تكتفي منذ الآن باستعمار فلسطين، بل هي تدخل سوريا وشبه جزيرة سيناء في إطار مشاريعها». على أنّ يوسف الخازن رأى أن هذا التوسع يقوم بشكلٍ رئيسيّ على استبدال شعب باخر. سيفرض المشروع الصهيونيّ «سيطرة عرقية أو دينية» يكتب يوسف الخازن. ولأن الصهاينة سيستعينون بأفكار وتصورات مستمدّة التلمود لتسويغ سياستهم ولتبريرها، نقرأ مطالعة طويلة يفكك فيها يوسف الخازن المزاعم التوراتية ويقلب المسائل رأساً على عقب. إذا كان اليهود لهم الحق بفلسطين، فإن العرب أيضاً لهم الحق في الأندلس، ما رأيكم في هذه المعادلة؟ ثم إنّ «المقدّس» الذي ينسبه اليهود لأنفسهم في فلسطين، هو «المقدّس» أيضاً عند المسلمين والمسيحيين في فلسطين. على هذا النحو، يحرص يوسف الخازن على نسف التهويد الصهيونيّ، أو اليهودية الصهيونية، أي كيف استقطبت الصهيونية اليهودية وجعلتها ديناً لمشروعها، إنه يقوم بالأحرى بتفريغ العناصر الجامدة بسبب «قدسيّة» تعززت من قوّة الصهيونية وتعطيها دفعاً وألقاً.

منذ البدء، لا يفرّق يوسف الخازن بين موطن يهودي ودولة يهودية. المشروع الصهيوني واضح عنده: هناك كيان قيد الإنشاء، وسيكون كياناً يهودياً، وسيكون عنصرياً، وإننا لنصنفه اليوم بال«أبارتهايد»، لأنّ يوسف الخازن رأى عام 1919 أن حلّ الدولتين يصبو إلى مزحةٍ سمجة، ففي «دولة يهودية لا تضم تحديداً إلا يهوداً و «أمميين» (تعبير يقوله اليهود على من هم من غير اليهود) فذلك محال».

كان يوسف الخازن على ثقةٍ تامّة برغبة المشروع الصهيوني العمياء في التمدد والتوسع، وجازماً في طبيعة هذا المشروع العنيفة الذي يفضي إلى سحق كل «آخر» لا يتطابق مع «شعبه». وقد علم بأنه «لا يمكن إيقاف مثل هذه الحركة التوسعية، متى سالت شهيتها، في منتصف الطريق».

غير أنّ الخازن المتيقّن من القوّة التدميرية والجامحة التي يكتنزها المشروع الصهيوني في جوهره رفض أن تكون إسرائيل «قوة عمياء بيد بريطانيا». فقد انتبه الخازن إلى أنّ الجولات المتعددة التي سبق وقام بها هيرتزل في الماضي، والتي بدأها مع القيصر الألماني وأكملها في زيارته للسلطان العثماني عارضاً عليه تسديد ديونه، يكشف عن تحرّك فوضويّ في ظاهره إنما يشي بانتهازية تماثل انتهازية سائر الدول. وسائر الدول هنا تعني الغرب، وعلى رأسها بريطانيا التي ترعى المشروع الصهيوني، هكذا نجد يوسف الخازن يرسم أولاً ملامح هذا المشروع وفقاً لأداء مهندسه؛ هيرتزل الانتهازيّ، كما نجده يتعاطى مع المسالة الصهيونية من منطلق «قيم الأنوار» التي عرفها هذا الغرب ويعمد إلى مقاربة هذه القيم مع طبيعة المشروع الصهيوني. قبل فضحه لادعاء هيرتزل الزائف بأن مشروعه سيكون علمانياً، والعلمانية هي سمة من سمات «الأنوار» الأوروبية التي ستكون إسرائيل «امتداداً» لها، عرّج يوسف الخازن على «حق الشعوب في تقرير المصير»، فنجده يكتب «لا يمكن إعطاء شعب حق تقرير مصيره بفرض تسلط شعب آخر عليه». ويضيف «ليس لعبارة «أمم» (الفلسطينيون) وقعها الأفضل في المسامع من عبارة رعية بل العكس هو الصحيح، في نظام متسامح بعض الشيء يمكن للمرء أن يتخلى عن انتسابه إلى الرعية ليصبح مواطناً».

لقد استطاع يوسف الخازن ليّ عنق الصهيونية، وفضحها عبر تفكيك ماهيتها، وقد استطاع استشراف معنى إسرائيل قبل قيامها بما يقرب من الربع قرن. بيد أنّ يوسف الخازن لم يكن على مستوى اليقين نفسه حول إمكانية تحققها، أي في نجاح المشروع الصهيوني وإقامة إسرائيل من عدمها. بقي في كتيّبه متلكأ حول ما إذا كانت إسرائيل ستبصر النور أم ستكون مشروعاً مجهضاً، على أنه توقّع، في حال «انوجدت» أن يكون استقبالها عسيراً. هكذا نقرأه يختم نصّه في تذكير قرائه بالصراع الذي وقع بين العبرانيين والكنعانيين: «الزنابير المعاصرون الذين ينطلقون ضدنا ليطردونا تدريجياً من إرث آبائنا. هؤلاء قد يقعون على ياعيلات حيث يتوقعون راحابات».

بعد سرده لسيرة يوسف الخازن بشكلٍ مقتضب، وإحاطته بالسياق الثقافي والسياسي الذي كان سائداً فترة كتابة يوسف الخازن لكتيّبه، يعلّق غسان الخازن نقدياً على ما ورد في كتيّب «الدولة اليهودية - وجهة نظر أحد أبناء البلاد». لا يقع في فخ محاكمة الماضي انطلاقاً من الحاضر، أو في خطأ إسقاط معايير يفرضها الراهن على ماضٍ لا يشبه الحاضر بشيء. يكتفي بتقويض ما يبدو شاذاً في نصّ يوسف الخازن للحفاظ على نقاء الطرح وجودته.

هو أولاً يقرّ بأن يوسف الخازن كان مخطئاً في اعتباره أنّ المشروع الصهيوني قد يتعثر ويحول دون تحققه. لقد راهن يوسف الخازن على إمكانية كبح الدول الأوروبية للنزعة التوسعية الإسرائيلية، بيد أن ما حدث هو أن «معظم هذه الدول نأت بنفسها عن نقد إسرائيل إن لم تدعمها» كما يقرّ غسان الخازن.

والأخير دحض تصوّر يوسف الخازن المتعلق باليهود بوصفهم أحفاد العبرانيين، وهذا ليس رأياً إنما حقيقة علمية. اليهودية ليست مجموعة إثنية أو عرقية، كما إنّ علاقة العبرانيين بالسكان العرب الفلسطينيين أقرب إليهم من علاقتهم باليهود الحاليين المتناثرين حول العالم. يقال هذا اليوم مع الأخذ في الحسبان منشأ يوسف الخازن والمنابع التي استقى منها ثقافته، فتركيبة يوسف الخازن الفكرية تعود إلى عصر النهضة في زمن لم تكن فيه الأنثروبولوجيا قد تخمّرت بعد. لكن في زمن يوسف الخازن أيضاً، لم توجد شاشات التلفزة، رغم ذلك فقد رأى حقيقة إسرائيل؛ الكيان الإحلالي الذي نشاهده على حقيقته في البثّ المباشر كل يوم.

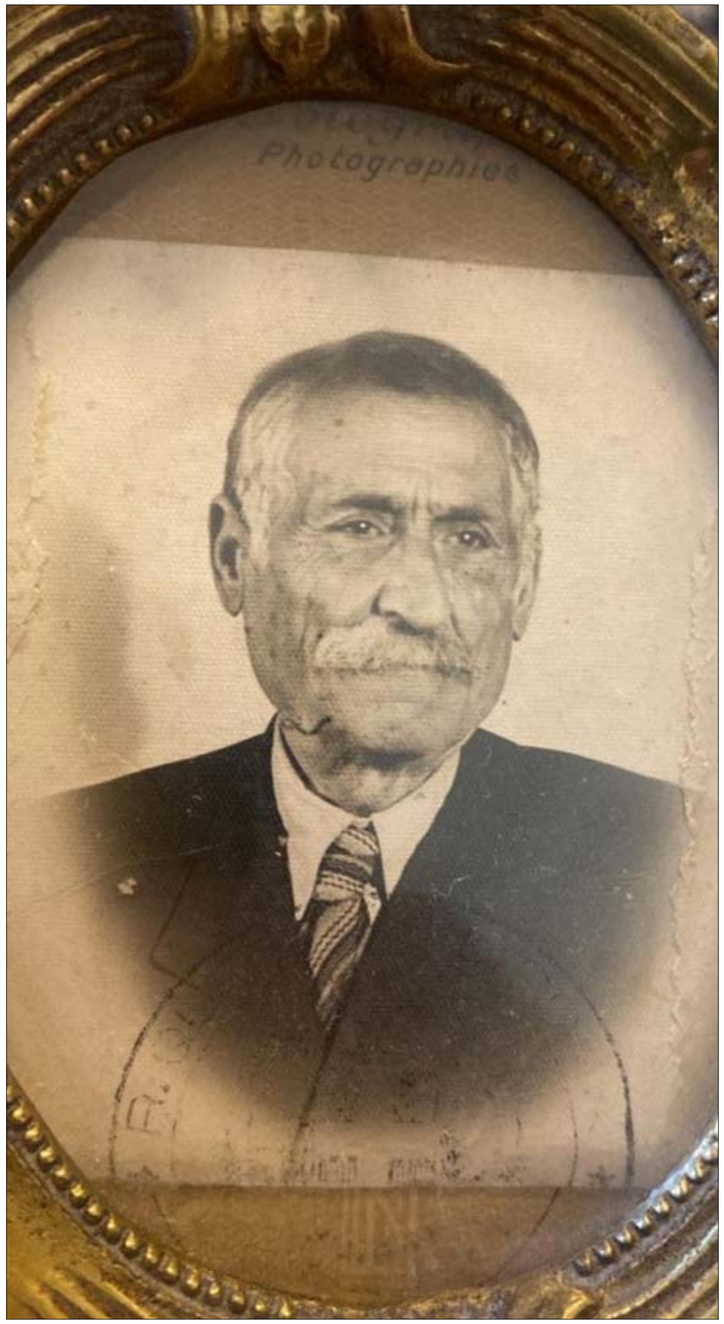

لم يفتعل يوسف الخازن ثورة ولم يدعُ لواحدة ولكنه لا يختلف عن الثوار كثيراً

توضيح

غسان الخازن

نص «الدولة اليهودية في فلسطين» يخاطب جمهوراً فرنسياً رفيع المستوى الثقافي، ذاك أن مؤلفه الشيخ يوسف الخازن قد أكثرَ فيه من الاستشهاد بحشدٍ من الأحداث التاريخية وبأسماء جمهرة من الأعلام وبمروحةٍ واسعةٍ من المؤلفات الأدبية المشهورة والمغمورة وبمقتطفات من المقاطع التوراتية والأحاديث النبويّة، ما يجعل الإحاطة بكامل إشارات النص وتلميحاته عصيّة على أيّ قارئ.

لقد قمت أثناء تعريبي للنص الفرنسي بكتابة تعليق على كل الوقائع التاريخية والأسماء والكتب والاقتباسات الواردة فيه والتي وجدتها ضرورية (خاصة أن قسماً كبيراً منها ليس له صدى إلا في الذاكرة الغربية) حتى يتمكن أيُّ قارئ عربيّ من الإلمام بكامل ما عناه نصّ الخازن والتمتع بمميزاته.

لم أكتفِ بذلك بل تعمدت التوسع والإسهاب في التعليقات حتى تتجاوز طبيعتها المقتضبة وتتحول إلى تأريخ مفصل للمشاريع الصهيونية منذ القرن الثامن عشر حتى صدور وعد بلفور.

أمل أن أكون قد وفقت في مسعاي. وقد اعتمدت في الهوامش المصطلحات الآتية: النجوم وهي هوامش النص الأصلي الفرنسي. الأرقام وهي تعليقاتي على النص المترجم. والأرقام الرومانية وهي تعليقاتي على بعض مصطلحات الترجمة.

كما ميزت في النص بعض العبارات بالحرف الأسود الغامق دلالة على ورودها بالخط المائل (écriture Italique) في النص الأصلي الفرنسي.

على موقعنا نص
«الدولة اليهودية في فلسطين»

فصل من رواية

مخالب الملح *

جدارية مجهولة المؤلف من بلد عربي (لم نشأ تحديده تعميماً لظاهرة القمع عربياً)

منيرة جوّادي

تحرّكت هامات الشّباب على قارعة الطّريق الرّئيسي، وضجّ المكان بزفرات ضدّ الطّغيان تخرج كالرّعد من الحلوق الغضّة. الكلّ ينادي بحقّ الوطن في خيراته.

ومضت الأجساد المعبّأة بالغضب تدكّ الطّريق الطّويل، وتجرّش السّخط فوق الإسفلت المخلوط بالمطر والوَحل، وارعدت السّماء حينها، وأرسلت بُرُوقَها كأعمدة من نار، فاهتزّت القلوب مع ذاك الصّليل المرعب، وقد زادها دويّ الكون قوّة وتحدٍ، ومضوا في هتافاتهم الصّاخبة إلى أن اختلط دويّ السّماء بدويّ الخرائطيش.

■■■

نظرت مريم إلى يمينها، وابتسمت عندما رأت ابنها بين يديّ زوجها مرّة أخرى، ثم قالت:

— جميل أن تكون هنا. محتاجة إليك كثيراً، ولا يمكنني السّير في هذا الكون من دونك.

ابتسم، وتقدّم نحوها، ثم وضع يديها بين كفيه، وقال:

— لقد هيّأت لي ولك سبيل الخلود.

قالت له بصوت متعب:

— أتمنى أن تبقى معنا. أعرف حبّك للوطن، لكنّني أخشى أن تُختَلس منك حُريّتك على حين غفلة كما تعوّدوا أن يفعلوا.

قال لها وهو يُعيد ابنه إلى حضنه:

— اطمئنّي.

لكنّه صمتَ عندما رنّ هاتفه، ثمّ قال في همس:

— من تذكّرني الآن وضوضاء المدينة على أشدّها؟

ردّ صوتٌ مغمورٌ بالضّجيج:

— أنا عبّاد، أكلّمك من هاتف أحد المارّة. الأمر خطير.

— ماذا هناك؟

— لقد تمّ احتجاز مئات المتظاهرين ومن بينهم توفيق وبعض الأصدقاء.

فعبّدَ الطريق مرّة أخرى للمحتل.

وضجّ الفضاء بأصوات الثّائرين وهم يردّدون:

— الأرض أرضنا والملح ملحنا. العبيد لا يحكمون الأحرار. العبيد لا يحكمون الأحرار.

ومضت الأجساد المعبّأة بالغضب تدُكُّ الطّريق الطّويل، وتجرّش السّخط فوق الإسفلت المخلوط بالمطر والوَحل، وارعدت السّماء حينها، وأرسلت بُرُوقَها كأعمدة من نار، فاهتزّت القلوب مع ذاك الصّليل المرعب، وقد زادها دويّ الكون قوّة وتحدٍ، ومضوا في هتافاتهم الصّاخبة إلى أن اختلط دويّ السّماء بدويّ الخرائطيش.

■■■

نظرت مريم إلى يمينها، وابتسمت عندما رأت ابنها بين يديّ زوجها مرّة أخرى، ثم قالت:

— جميل أن تكون هنا. محتاجة إليك كثيراً، ولا يمكنني السّير في هذا الكون من دونك.

تاه حسن مع حركة السّيل المنهمر، بعد أن غادر إلى الشّرفة، ولم يخرج من خياله المبهم إلا على صوت الممرّضة التي جاءت تحمل له بُشرَى خلاص زوجته.

احتضن ولده، ثمّ انحنى، وقبّل مريم على جبينها، وفي غمرة الفرح قال وهو يتأمّل الملامح الصّغيرة:

— سأسمّيه مُريداً.

أومأت له بعينيها في دعة، فابتسم، ثمّ وضعه على صدرها، وغادرها إلى الميدان.

بلغ قلب المدينة فوجد الشّوارع تغصّ بالحشود. اعتلى كرسيّاً كان ينتظره منذ الصّباح، ثمّ قال عبر مصدح لا سِلْكيّ:

— أيّها الأحرار، اقتداءً بالجدود الذين دفعوا دماءهم ثمن استقلالٍ ظنّوا أنّه حقيقة، نعتزم اليوم بدء الحراك الحرّ ضدّ بائع الوطن وبقايا مستعمرنا القديم. لقد مدّد اتفاقية الملح من جديد، قاطعه قائلاً:

— الأمر مُتوقّع.

— احمد الله أنّك خرجْتَ من الرّحمة قبل مجيئهم. صوّبوا عصيّهم على كل المعتقلين، ثمّ ملؤوا سيّاراتهم بأجسادهم المتعرّقة. اتركك الآن.

جلست مريم، وقالت في اضطراب شديد:

— حسن، لا تَعُد إليهم.

أمسك بيمينها، وقال بنبرة هادئة:

— لا تخافي.

ثمّ نظر إلى ساعته في قلق بيّن، وقال:

— جدّتي لا تعلم عنكِ شيئاً حتى الآن. يجب أن أذهب. سأعود إليك.

امتطى سيّارته، ومن دون أن يفكّر في الخطر الذي يُمكن أن يحْدق به، عاد إلى الطّريق الرّئيسية. كان هدوءاً مقيتاً. حتّى القطط والكلاب لا أثر لها، لا شيء سوى سماء سوداء وأرض مبتلّة.

عاد ادراجه وهو يُتمتم:

— أشهد أنّني غريب الأطوار. كأنّما عُدت إلى هذا المكان لأدخل المُعتقل.

ثمّ تذكّر زوجته ووجه ابنه، فابتسم رغم الاضطراب، واتّجه إلى بيته.

التقط أنفه رائحة إطارات سيّارات مُحترقة خانقة، وقد رسم المطّاط المُنصهر خرائط فوْضويّة على الإسفلت. كان الشّارع خالياً تماماً إلّا من نُباح كلاب قادم من بعيد، وصوت الأذان يرتفع ليملأ قلبه طمأنينة. ثم صعد الدّرج، وفي لحظات بلغ الرّخامة الرّمادية. لمح علبة سجائر من نوع «كِنْت» وعلم ساعتها أنّ نعيماً يُلمّح لأمر ما. قال في نفسه، وهو يلتقطها من الأرض: — نعيم هو الوحيد الذي يُدخّن هذه اللفافة الأميركية من بين جميع رفاقي، وهذه العلبة هي شيفرته في الأوقات التي تستوجب الحذر.

وضعها في جيب معطفه، ودخل مسرعاً حيث جدّته، ثمّ سار إلى غرفته.

قال وهو يأخذ ورقة وقلماً:

— أعلم أنّني مطلوب. لن يتركوني أُنغّص عليهم راحتهم.

جلس على حافّة سريره، ونظر إلى الفضاء المُظلم، وردّد في صمت:

— سأنتظرهم هنا.

عاد إلى الورقة، وقد تذكّر زوجته، فنقش اسمها على يساره، ثمّ كتب:

— أنا مطلوب للعدالة. علمت أنّهم سيقبضون عليّ، لكنّني سأنتظرهم هنا. هذه اللحظات القصيرة من عمر الحريّة أثمن من الجحور التي ستُوفّر لي ملجأً رخيصاً جداً. ربّما لا أعود. ضعي ابننا بين عينيكِ، وحدّثيه عن الملح والأرض وراس جدّي الذي سقط مدفوعاً بالنّار. ثمّ احتضنَ جدّته بقوّة، وقال:

— سأعود.

— لكنّ الليل قريب.

— لا تجزعي. ستعود مريم ومُريد ويلتئم الشّمل.

— لكنّني أخشى الغياب. سمعت ظُهْراً دويّ الخرائطيش وهتافاً. يظهر أنّ أمراً جللاً حدث. كنت كالغافية تحت تأثير الدّواء.

— اهدئي الآن، وإن تأخّرتُ سيكون الحاج عبيد في الخدمة.

ثم قبّل رأسها، وخرج. جلس على العتبة، وحاول الاتّصال برفاقه، لكن لا أحد يجيب، حتّى نعيم، فقال في نفسه: — لا بدّ أنّ خطوط الهواتف مراقبة، أو ربّما ألقي القبض عليه، وبقيتُ وحدي في هذا الظّلام القاتل. سأجلس هنا أنتظر كلاب عماد.

تناهى إلى مسمعه وقع خطوات ونحنحة ولغط متصاعد. ظلّ هناك من رجال الدّرك ومعهم امرأة في مقتبل العمر تظهر عليها معالم الحُسن والقسوة في آن. ترامت الخطوات مسرعة في اتّجاهه، لكنه ظلّ حيث هو.

سحبوه بقوّة، فخرجت الرّؤوس من مخادعها تُراقب حسن المقيّد وهو يُدْفع داخل عربة البوليس السّوداء. قال في نفسه وقد اكتنفه إطار السيّارة البارد:

— ماذا كان سيحدث لو أنّني أطعت نداء نعيم؟ ها أنا ذا محتجزٌ ومقيدٌ بسلاسلهم الصّدئة.

نظر إلى وجوه رجال الأمن وقد ارتفع صوت مُنبّه السيّارة بعد أن اتّخذت طريقها نحو المجهول، ثمّ طاطأ وهو يحدّث نفسه:

— وعلى أيّ أساس سأُحاكم الآن؟

وسرح مع حركة الإطارات التي كانت تأكل الإسفلت في اتّجاه من اتّجاهات الأرض الممتدّة حتى حلّ الليل داخل العربة.

كان متيقناً أنّه ذاهب إلى زنزانة مُعْتمة، وأنّ حساباً كحساب القبر لشخص سيّئ ينتظره، لكنّه كان يرتقب كلّ ذلك بقلب من حديد. تساءل:

— مَنْ مِن الرّفاق تُراه سبقني؟ ربّما كنت المحتجَزَ الوحيد بين هذه الأيادي القذرة. ثمّ سرح قليلاً، وتذكّر جسد ابنه الصّغير جداً، وصراخ الوجود الأوّل، فبكى رغماً عنه، وصرخ السّؤال الشّقي داخل عقله:

— أيّهما أولى بتضحياتي؟ الوطن أم الأسْرَة؟ ابني سيرضع اليُتْم والأوجاع، وزوجتي سيذوي شبابها بين أسوار الشّوق والتّعب وادّعاءات المدينة الباطلة. نافذة زجاجيّة صغيرة جداً يُطلّ منها وجه اللّيل الحالك ليسقط على الوجوه. المطر يضرب سقف العربة بقوّة، ويغرق الأرض كأنّه الفيض. أحسّ بالعطش وبالغرق في آن، وكم تمنّى أن يُفتح له شقٌّ في الهيكل الحديدي كي يُبلّل ما أمكن من جسده، ويتنفّس نسيم الحريّة بعيداً من رجال البوليس.

* فصل من رواية بالعنوان نفسه للكاتبة التونسية منيرة جوّادي، حصلت على المرتبة الخامسة لـ «جائزة سليماني العالمية للأدب المقاوم» في دورتها الثالثة. تصدر قريباً في طبعة ثانية عن «دار الولاء» و«دار أسفار» في بيروت، بعد احتراق نسخ الطبعة الأولى إثر استهداف مستودعات «دار الولاء» في ضاحية بيروت الجنوبية بغارة جوية أثناء العدوان الصهيوني الأخير على لبنان.

قصيدة

لا أريد أن أموتَ

بوريس فيان *
ترجمة: نجيب مبارك

لا أريد أن أموت
قبل أن أعرف
كلاب المكسيك السوداء
التي تنام دون حلم
وقردة المناطق الإستوائية
العارية الضاربة
والعناكب الفضّية
في العش المفخخ بالفقاعات
■■■
لا أريد أن أموت
دون أن أعرف
ما إذا كان القمر
يقع تحت أجواء المال الزائف
في زاوية حادة
ما إذا كانت الشمس باردة
وهل الفصول الأربعة
هي أربعة فقط
دون أن أحاول
أن أرتدي لباساً طويلاً
في الشوارع الكبرى
دون أن أحدق
في نظرة البالوعة
دون أن أضع قضيبي
في أماكن غريبة
■■■
لا أريد أن أنتهي
دون أن أعرف الجذام
أو الأمراض السبعة
التي تصيبنا هناك
لا الخير يؤذيني ولا الشر
لو كنت أعرف
أنني سائال الهدية الأولى
هناك أيضاً
كل ما أعرف وما أحبُّ
هو أنني أعرف ما يعجبني
قاع البحر الأخضر
حيث جدائل الطحالب
ترقص القالس
على الرمل المتماوج
عشبُ حزيران المشوي
الأرض المشقوقة
رائحة الصنوبريات
وقبلاتُ هذه المرأة
على ما هي عليه
الجميلة ها هنا
أورسونتي، الـ«أورسولا»
■■■
لا أريد أن أموت
قبل أن يلبس فمي فمَها
ويدي جسدها
والباقي تلبسه عيناي
لن أقول أكثر من ذلك
يجب أن أظل موقراً
■■■
لا أريد أن أموت
دون أن تُخترع
الورود الأبدية
واليوم ذو الساعتين
البحرُ فوق الجبل
والجبل تحت البحر
نهاية الألم
والأيامُ بالألوان
وكل الأطفال سعداء
والكثير من الأشياء أيضاً
التي تنام في الجماجم
مهندسون عباقرة
اشتراكيون مهتمون
مخططون حضريون
مفكرون متأملون
الكثير من الأشياء
للمشاهدة والإنصات
الكثير من الوقت للانتظار
والبحث في الظلام
وأنا أرى النهاية
وهي تحتشد وتتنقاد
بفمها البذيء
تفتح لي ذراعيها
مثل ضفدعة تنط
■■■
لا أريد أن أموت
لا يا سيدي لا يا سيدتي
قبل أن أتذوق
ما يُعذبني
■■■
لا أريد أن أموت
قبل أن أتذوق
طعم الموت...

* بوريس فيان شاعر وروائي ومغنٍّ وممثّل ومسرحي وسيناريست، وعازف جاز ورسام وناقد ومترجم فرنسي (1920-1959) متعدّد المواهب ومتفرّد في أسلوبه حياةً وكتابةً، اشتهر بثلاثيّته الروائيّة: «زبَد الأيام»، و«سأذهب لأبصق على قبوركم» و«خريف بكين».

شذرات

أسنانٌ سقطَتْ هنا مِنْ فمِ الوحش

وائل حسن *

جورج تايس ــ «كشك هاتف» (1974)

■■■
الأنهرُ
هنا
تمضي إلى حتفها البحريّ
بصمتٍ مهيب
■■■
الشمسُ
هنا
مصباحٌ كهربائيٌّ
دوّار
■■■
الأيامُ
هنا
لا متنَ لها
ولا هامش
■■■
الغابةُ
هنا
هجرتُها السباع
إلى أقفاصِ الحديد
الظلُّ
هنا
أنتَ
بلا رتوش
■■■
الدربُ
هنا
مُنار
لكنكَ
لا ترى
■■■
أربع جدرانك
هنا
عليها يرتاح
سقفُ الألفة الوحيد
■■■
الحربُ
هنا
ناعمة
كحيّةِ تين
القلبُ يدُقُّ
هنا
والنبضُ هناك
■■■
الروحُ
هنا
كهرباءُ
لآلئِ الجسد
■■■
في قشّ الفراش
■■■
الهدوءُ
هنا
أسنانٌ لبنيّة
سقطتْ
من فمِ الوحش
■■■
الأشجارُ
هنا
ليست عدوّة
لكنها
لا تصادق الغرباء
■■■
الكآبةُ
هنا
دودةٌ شريطية
لا يفيد معها
شرابُ الدود
■■■
أجسادُ النساءِ
هنا
ليست لك
دفاترُ لراسمي الوشوم
■■■
الوجودُ
هُنا
يُقسَرُ أكثر فأكثر
إلى محاكاةٍ لنمذجةٍ عقلية
كأنها اللوح المحفوظ
■■■
السماءُ
هنا
ما عادت تمرُّ بدربها
خيلُ التبّانة
■■■
الصباحُ
هُنا
تجديدٌ لعقدِ الكآبة

* باريس/ سوريا

نصّ

شريعةُ الشوقِ والغياب

غانيا العلي *

دخلتُ المطبخ متأخرةً عن الصحو، أرقتُ ثوب النوم الأبيض الملطخ بوَرْدٍ دابلٍ على أرضٍ باردة، وبسرعة أعددتُ لأمي كوباً من الشاي بالحليب، وحضّرت على طريقة محمود درويش طقوس قهوتي:

مرّة، مرّة، مرّة حتى الغياب!

شعري المتهدّل بفوضى يتساقط هنا وهناك بفعل عصبية أصابعي الجافة، أو عنوةً عن وجهٍ نسيت تفاصيله. كان شعري السرير الذي تحت التقلب على خصلاته المبعثرة، وعادةً ما يهدل متساقطاً على القُبل والكلام، ليقطع دابر قُبل وصلت أوتلاين.

سكبتُ بعض قهوتي على الموقد المستعر كقلبي، شتمتك وضحكتُ بغير مسرّة، استعدتُ رباطة جأش الذكريات وعدت إلى غرفتي. دخلتُ الكتبَ التي قرأناها أبحث عنا. ركضتُ بثوب النوم الأبيض بين المواقع المتنافسة في استقطاب الوجوه إلا وجهك. التقفتُ لأيام قديمة تنام خلف المشهد فأجدها تركض معي بحثاً عنا. أو تسير أمامي من يأس وقنوط.

في الطائف، التقينا أول العهد وكنت غرّ القلب والخبرة. كنت آتيه بضفائر وحياء. تعانقنا من دون سلام، وغضضتُ طرفك خوفاً عليّ من الجَلد وتعاليم القبيلة، وغضضتُ قلبي لئلا يقرؤوا نبضه كيف يتيه ويشرد. يغيض ويفيض شوقاً وحياء.

في جدّة جلسنا متقابلين وحديدين إلا من أملٍ ترقب رسائل موجزة، ولمست طرف ذراعي، هامساً:

— لا تحتاجين إلى بروتوكول. أنتِ سمراء كما أردت.

لا زلت والعهد مرّ عليه أربعة وأربعون عاماً أحتفظ بفستاني الأول الذي تفحّصت عيناك ملامح ما تحته.

في العشق الأول، أفرطت في السنا فأصيب قلبي بالبياض، وأصيب صدري بربو خبيث. قلت إذن لن ننجب سلمى، الربو يتعب القلب وجهاز التنفس. ولأن الحبّ هو الحدّ من قدرة العقل على النظر خارج الإطار الحسّي، أحببتُ أنت. أنت آلاف السلماوات الصغيرات يعبرن صباحي كل ضياء. لا زلتُ أرعى عهداً قطعته وحدك ورحلت.

— لا على كرمٍ نلتقي ولا على حبّ.

أربي سلمى بين أحشاء الغيب. أرقبك تخصب وردتها، ليتزاوج الليل والكلام. وكل وردةٍ أموتُ وحدي.

* فلوريدا/ الأردن

ميشاك باشو ــ «الشوق» (رسعة الفوغرافية، 2022)

علم نفس

جيرالد برونر... رحلة في عالم التحيّزات المعرفية

سلوى دبوق

تخيّل أنّ دماغك يحيك مؤامرة ضدك! نعم، تلك الكتلة الرمادية المُعقّدة التي تعتمد عليها في كل قراراتك قد تكون في الواقع «إمبراطورية الخطأ» الخاصة بك. في عالم نظن فيه أنّنا نتخذ قرارات منطقية، يأتي أستاذ علم الاجتماع الفرنسي جيرالد برونير ليصفعنا بحقيقة صادمة: الأخطاء التي نقع فيها ليست مجرد هفوات عارضة، بل جزء من نظام تفكير متكامل... نظام قد يكون ضرورياً لبقائنا! فهل أنت مستعد لاكتشاف الخدع التي يلعبها عقلك عليك؟ وهل تجرؤ على مواجهة مملكة الأوهام داخلك؟

يسعى جيرالد برونير في كتابه «إمبراطورية الخطأ» (2007) الصادر عن «صفحة سبعة للنشر» (ترجمة محمد العافية العروسي) إلى إعادة تناول نتائج الأبحاث المعروفة باسم «علم النفس الإدراكي» (وخاصة أعمال تفرسكي وكانيمان) وإعادة دمجها في التحليل السوسيولوجي.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول. يخصص الباحث الفصل الأول لعرض مفهوم «الخطأ الإدراكي» واستعراض تاريخ الأفكار والأبحاث التي تناولته رأى شخص شاباً يرتدي نظارات سميكة عبر الزمن، بدءاً من برنولي ومل وباريتو والياس وصولاً إلى أبحاث كانيمان وتفرسكي، التي أبرزت وجود «الأخطاء الإدراكية أو المعرفية» عبر الاختبارات والتجارب المعملية. أما الفصل الثاني، فيكرّسه برونير لوضع نموذجه الخاص، مستنداً إلى أعمال كانيمان وتفرسكي، ولكن مع تعديلات مستوحاة من نهج ريمون بودون، في حين يتناول الفصل الثالث تطبيق علم النفس الإدراكي على تحليل الظواهر الاجتماعية.

يقسم برونير الأخطاء الإدراكية إلى أنواع عدة، منها: الخطأ البعدي، الذي ينشأ نتيجة قلة المعلومات المتاحة بسبب عامل الزمن أو المكان، والخطأ الثقافي، حيث تؤثر الخلفية الثقافية للفرد في تفسيره للأحداث، والخطأ العاطفي والتحفيزي، الناتج من الرغبات الشخصية أو المشاعر القوية، والخطأ العقلي، الذي ينتج من استخدام استدلالات غير صحيحة. بالإضافة إلى ذلك، ينتقد برونير الفصل الصارم بين العقلانية واللاعقلانية في الأبحاث السابقة، ويقترح أن الأخطاء الإدراكية جزء من عملية تفكير عقلاني، لكنها تتأثر بالعوامل البيئية والنفسية.

يستند برونير إلى علم الإدراك لتفسير سبب ميل البشر إلى تصديق الأخطاء. فالعقل البشري ليس آلة منطقية محضة، بل يخضع لتحيزات معرفية تؤثر في الأحكام والقرارات. ومن أبرز هذه التحيزات:

- تحيّز التأكيد: وهو ميلنا إلى البحث عن المعلومات التي تتفق مع آرائنا السابقة وإهمال الأدلة التي تناقضها.
- إهمال النسبة الأساسية: عدم الانتباه إلى حجم العيّنة عند التعامل مع النسب المئوية.
- تحيّز التماثل: الاعتقاد بأن العلاقة السببية تعمل في الاتجاهين، أي إذا كان الحدث X يؤدي إلى ، فهذا يعني خطأً أنّ Y يؤدي إلى X.
- الاستدلال التوافري: تقدير احتمالية وقوع حدث معين بناءً على تكرار مشاهدته أو سماعه في وسائل الإعلام.
- تحيّز السلطة: الميل إلى تصديق المعلومات لمجرد أنها صادرة عن شخصية ذات نفوذ أو شهرة.
- تحيّز التمثيلية: الحكم على احتمال وقوع حدث أو انتماء شخص لمجموعة معينة بناءً على مدى تشابهه مع الصورة النمطية. على سبيل المثال، إذا رأى شخص شاباً يرتدي نظارات سميكة عبر الزمن، بدءاً من برنولي ومل وباريتو والياس وصولاً إلى أبحاث كانيمان وتفرسكي، التي أبرزت وجود «الأخطاء الإدراكية أو المعرفية» عبر الاختبارات والتجارب المعملية. أما الفصل الثاني، فيكرّسه برونير لوضع نموذجه الخاص، مستنداً إلى أعمال كانيمان وتفرسكي، ولكن مع تعديلات مستوحاة من نهج ريمون بودون، في حين يتناول الفصل الثالث تطبيق علم النفس الإدراكي على تحليل الظواهر الاجتماعية.

بحث في انتشار الشائعات وتأثير الدعاية والتلاعب بالطوائف الدينية

يقسم برونير الأخطاء الإدراكية إلى أنواع عدة، منها: الخطأ البعدي، الذي ينشأ نتيجة قلة المعلومات المتاحة بسبب عامل الزمن أو المكان، والخطأ الثقافي، حيث تؤثر الخلفية الثقافية للفرد في تفسيره للأحداث، والخطأ العاطفي والتحفيزي، الناتج من الرغبات الشخصية أو المشاعر القوية، والخطأ العقلي، الذي ينتج من استخدام استدلالات غير صحيحة. بالإضافة إلى ذلك، ينتقد برونير الفصل الصارم بين العقلانية واللاعقلانية في الأبحاث السابقة، ويقترح أن الأخطاء الإدراكية جزء من عملية تفكير عقلاني، لكنها تتأثر بالعوامل البيئية والنفسية.

يستند برونير إلى علم الإدراك لتفسير سبب ميل البشر إلى تصديق الأخطاء. فالعقل البشري ليس آلة منطقية محضة، بل يخضع لتحيزات معرفية تؤثر في الأحكام والقرارات. ومن أبرز هذه التحيزات:

- تحيّز التأكيد: وهو ميلنا إلى البحث عن المعلومات التي تتفق مع آرائنا السابقة وإهمال الأدلة التي تناقضها.
- إهمال النسبة الأساسية: عدم الانتباه إلى حجم العيّنة عند التعامل مع النسب المئوية.
- تحيّز التماثل: الاعتقاد بأن العلاقة السببية تعمل في الاتجاهين، أي إذا كان الحدث X يؤدي إلى ، فهذا يعني خطأً أنّ Y يؤدي إلى X.
- الاستدلال التوافري: تقدير احتمالية وقوع حدث معين بناءً على تكرار مشاهدته أو سماعه في وسائل الإعلام.
- تحيّز السلطة: الميل إلى تصديق المعلومات لمجرد أنها صادرة عن شخصية ذات نفوذ أو شهرة.
- تحيّز التمثيلية: الحكم على احتمال وقوع حدث أو انتماء شخص لمجموعة معينة بناءً على مدى تشابهه مع الصورة النمطية. على سبيل المثال، إذا رأى شخص شاباً يرتدي نظارات سميكة عبر الزمن، بدءاً من برنولي ومل وباريتو والياس وصولاً إلى أبحاث كانيمان وتفرسكي، التي أبرزت وجود «الأخطاء الإدراكية أو المعرفية» عبر الاختبارات والتجارب المعملية. أما الفصل الثاني، فيكرّسه برونير لوضع نموذجه الخاص، مستنداً إلى أعمال كانيمان وتفرسكي، ولكن مع تعديلات مستوحاة من نهج ريمون بودون، في حين يتناول الفصل الثالث تطبيق علم النفس الإدراكي على تحليل الظواهر الاجتماعية.

يقسم برونير الأخطاء الإدراكية إلى أنواع عدة، منها: الخطأ البعدي، الذي ينشأ نتيجة قلة المعلومات المتاحة بسبب عامل الزمن أو المكان، والخطأ الثقافي، حيث تؤثر الخلفية الثقافية للفرد في تفسيره للأحداث، والخطأ العاطفي والتحفيزي، الناتج من الرغبات الشخصية أو المشاعر القوية، والخطأ العقلي، الذي ينتج من استخدام استدلالات غير صحيحة. بالإضافة إلى ذلك، ينتقد برونير الفصل الصارم بين العقلانية واللاعقلانية في الأبحاث السابقة، ويقترح أن الأخطاء الإدراكية جزء من عملية تفكير عقلاني، لكنها تتأثر بالعوامل البيئية والنفسية.

يستند برونير إلى علم الإدراك لتفسير سبب ميل البشر إلى تصديق الأخطاء. فالعقل البشري ليس آلة منطقية محضة، بل يخضع لتحيزات معرفية تؤثر في الأحكام والقرارات. ومن أبرز هذه التحيزات:

- تحيّز التأكيد: وهو ميلنا إلى البحث عن المعلومات التي تتفق مع آرائنا السابقة وإهمال الأدلة التي تناقضها.
- إهمال النسبة الأساسية: عدم الانتباه إلى حجم العيّنة عند التعامل مع النسب المئوية.
- تحيّز التماثل: الاعتقاد بأن العلاقة السببية تعمل في الاتجاهين، أي إذا كان الحدث X يؤدي إلى ، فهذا يعني خطأً أنّ Y يؤدي إلى X.
- الاستدلال التوافري: تقدير احتمالية وقوع حدث معين بناءً على تكرار مشاهدته أو سماعه في وسائل الإعلام.
- تحيّز السلطة: الميل إلى تصديق المعلومات لمجرد أنها صادرة عن شخصية ذات نفوذ أو شهرة.
- تحيّز التمثيلية: الحكم على احتمال وقوع حدث أو انتماء شخص لمجموعة معينة بناءً على مدى تشابهه مع الصورة النمطية. على سبيل المثال، إذا رأى شخص شاباً يرتدي نظارات سميكة عبر الزمن، بدءاً من برنولي ومل وباريتو والياس وصولاً إلى أبحاث كانيمان وتفرسكي، التي أبرزت وجود «الأخطاء الإدراكية أو المعرفية» عبر الاختبارات والتجارب المعملية. أما الفصل الثاني، فيكرّسه برونير لوضع نموذجه الخاص، مستنداً إلى أعمال كانيمان وتفرسكي، ولكن مع تعديلات مستوحاة من نهج ريمون بودون، في حين يتناول الفصل الثالث تطبيق علم النفس الإدراكي على تحليل الظواهر الاجتماعية.

يقسم برونير الأخطاء الإدراكية إلى أنواع عدة، منها: الخطأ البعدي، الذي ينشأ نتيجة قلة المعلومات المتاحة بسبب عامل الزمن أو المكان، والخطأ الثقافي، حيث تؤثر الخلفية الثقافية للفرد في تفسيره للأحداث، والخطأ العاطفي والتحفيزي، الناتج من الرغبات الشخصية أو المشاعر القوية، والخطأ العقلي، الذي ينتج من استخدام استدلالات غير صحيحة. بالإضافة إلى ذلك، ينتقد برونير الفصل الصارم بين العقلانية واللاعقلانية في الأبحاث السابقة، ويقترح أن الأخطاء الإدراكية

بالإضافة إلى ذلك، يمكن للأخطاء الإدراكية أن تلعب دوراً في تعزيز التعاون الاجتماعي. على سبيل المثال، يمكن أن يعزّز تحيّز المجموعة الداخلية (الميل إلى تفضيل أفراد المجموعة التي ننتمي إليها) التضامن والتعاون داخل المجموعة، ما يُسهم في تحقيق أهداف مشتركة.

كما يشرح برونير مفهوم التنبؤات الذاتية التحقق، مشيراً إلى أنّ بعض الأخطاء الإدراكية قد تكون ضرورية للحياة اليومية، مثل توقع أنّ الغد سيكون مشابهاً لليوم، ما يساعد الأفراد على التكيّف مع الواقع. أخيراً، يُسلّط الباحث الضوء على تأثير الأخطاء الإدراكية في السياسة والاقتصاد، مؤكداً على أنّ صانعي القرار يجب أن يفهموا هذه التحيّزات عند صياغة السياسات، لأنّ الجماهير غالباً ما تفسر القرارات بناءً على تحيزاتها المعرفية وليس بالضرورة على أساس المنطق الموضوعي.

يمثل كتاب «إمبراطورية الخطأ» مساهمةً مهمة في علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية بشكل عام، إذ يعيد تعريف الفردانية المنهجية، وهي منهجية في علم الاجتماع تفترض أنّ الظواهر الاجتماعية يمكن تفسيرها عبر تحليل سلوك الأفراد ودوافعهم العقلانية، بدلاً من اعتبار المجتمع ككيان مستقل له قوانينه الخاصة. يتبنى برونير هذا النهج مبتعداً عن الرؤية الميكانيكية التقليدية للعقل البشري، كما يسعى إلى الربط بين علم النفس الإدراكي، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، ما يفتح آفاقاً جديدة للبحث في هذه المجالات.

رغم القيمة العلمية للكتاب، فإنه يعاني من بعض القصور، لا سيما في عدم التوسع في بعض المفاهيم النفسية والاجتماعية المهمة، مثل «نظرية العالم العادل»، التي تعد من المفاهيم الأساسية لفهم الحياة الاجتماعية. كما يُركّز برونير بشكل أساسي على التحليل الفردي للأخطاء الإدراكية، من دون التعمق الكافي في دور البنى الاجتماعية والسياسية في تعزيز هذه الأخطاء أو تصحيحها. إضافةً إلى ذلك، يعتمد نقده على افتراضات نظرية من دون تقديم أدلة تجريبية كافية تدعم نموذجه الخاص. وأخيراً، كان يمكن للكتاب أن يقدم حلولاً عملية أكثر لمواجهة التضليل المعلوماتي، بدلاً من التركيز على التشخيص فقط.

ما تُرى على أنها عيوب في التفكير البشري، يرى برونير أنها قد تلعب دوراً إيجابياً في الحفاظ على التماسك الاجتماعي والاستقرار النفسي للأفراد والمجتمعات.

على سبيل المثال، يمكن أن يساعد تحيّز التأكيد (الميل إلى تصديق المعلومات التي تتوافق مع معتقداتنا المسبقة) الأفراد في الحفاظ على هويتهم الثقافية والاجتماعية. في مجتمع مُتعدد الثقافات، قد يساعد هذا التحيّز الأفراد على التمسك بقيمهم وتقاليدهم، ما يُعزّز الشعور بالانتماء والاستقرار النفسي. كذلك، يمكن لتحيّز التمثيلية (الميل إلى الحكم على الأحداث بناءً على الصور النمطية) أن يُسهّل عملية اتخاذ القرارات السريعة في المواقف الاجتماعية المعقدة، عندما يكون الوقت محدوداً والموارد المعرفية قليلة، قد تكون هذه التحيّزات مفيدة في تسهيل التفاعلات الاجتماعية واتخاذ القرارات اليومية.

رواية

أزهر جرجس: ديستوبيا العراق

فاطما خضر

ليست الأحداث العظيمة ما تمنح الرواية أهميّتها، بل الأحداث الصغيرة الوآدة، التي تترك أثر الفراشة، مخلّفة على امتداد صفحاتها اضطراباً يُثير وجدان القارئ كلّما اقتربت من نهايتها. وهذا بالضبط ما ينطبق على رواية «وادي الفراشات»، للروائي العراقي أزهر جرجس، الصادرة بأربع طبعات في عام واحد (2024)، بالتعاون ما بين دار «الرافدين» (بغداد) و«سكيلياني» (تونس).

روايةٌ تُسرد أحداثاً يوميّةً، حافلةً بالخيبات، لبطلٍ ليس خارقاً وإنّما مُهمَّشٌ، ومسحوقٌ، وسيّئ الحظ. تبدأ بحوار ساخر، بين هذا البطل السجين «عزيز جواد»، وخاله الكهل «جبران»، عند زيارة الثاني للأوّل وقد هدّه المرض: «خذ، هذه آخر زيارة» قال وهو يُنزل الأغراض.

- «إذا خرجتَ من السجن، فلا تنس أن تضع الورد على قبري يا نذل. لقد بدا لي ناعياً نفسه، فقلت في محاولة للتخفيف: يومي قبل يومك يا خال. فردّ مازحاً: إن شاء الله، ومن يكره! ثم ودّع ورحل: اعتنِ بنفسك... إلى اللقاء في جهنم...».

من بين هذه الأغراض التي حملها الخال «دفتر الأرواح»، الذي سيُمسك القارئ عبره بأوّل خيط للمضي في القراءة بحثاً عن سرّه، وعن لغز أسماء الأطفال التي دوّنت على صفحاته.

مستخدماً تقنية الفلاش- باك، يعود جرجس بعد هذا الحوار، لسرد سيرة حياة عزيز جواد، بلغة مباشرة، ذات طابع تقريري، تستمدّ مفرداتها من الحياة اليوميّة، وتزخر بالسخرية والتهكّم. يُضمّن جرجس هذه السيرة مجموعة شخصيّات، ينتقي صفاتها وسلوكياتها بعناية، ليُحمّلها بذلك رمزيّة لسمات غامة سادت المجتمع العراقي، في حقبة امتدّت منذ فترة السبعينيات، وستُشكّل فترة التسعينيات والحصار الذي عاشه العراق إثر حربه على الكويت، الفترة الأبرز في رسم أحداث قاسية، تقودنا إلى وادي الفراشات، الذي شكّلت حكايته جوهر الرواية.

يضرب جناح الفراشة أثره على حياة عزيز منذ موت والده الأيكم، الذي هُشّم رأسه إثر سقوطه على خطوط السكة الحديد أثناء نوبة عمله، فعاش بقية حياته على الفراش، فاقداً لكلّ من الذاكرة والتأثير في حياة أبنائه. وكأنّ شخصيته كناية عن شعب أيكم، عاجز عن المطالبة بحقوقه من سلطة استبداديّة، قادت بلداً بأكمله إلى هاوية الفقر، وخلقت طبقيّة مُفرطة بين شرائحه. ويموت والده هذا، يُظهر جرجس سلطة الأخ الأكبر، ليرمز عبرها إلى حُكم القوي على الضعيف، حيث هجّر أخاه من غرفة تشاركانها ليتزوّج زواجه الأوّل، وفي وقت لاحق من الرواية، حرمه من نصيبه في الميراث الشرعي، ليتزوّج زواجه الثاني. وهكذا، انتقل عزيز إلى النوم في غرفة أخواته الأربع، وسرعان ما غادرها إلى غرفة الضيوف، لتتحوّل الأريكة إلى سرير، وطاولة دراسة، وطاولة طعام إن لزم الأمر. ثمّ يقع شجار عنيف بين أختين من أخواته، يُغيّر مصيره، إذ تطلب منه والدته الذهاب إلى بيت خاله جبران، ليُتابع دراسته استعداداً لامتحانات البكالوريا المصيريّة، وهي من علّقت حلمها عليه بأن يُصبح طبيباً. وهُناك وقع في غرام المطالعة والكتب، فاستبدلها بالدراسة، ما قاده إلى الفشل في تحقيق حلم والدته. لكنّه كسب صداقة خاله جبران، الذي رافقه طوال أحداث الرواية، وغدا ملجأ لأسراره، وبدأ انتشاله من ورطة تلوَ الأخرى. وجبران رجل أعذب، يمتلك مكتبة، كتبَ على واجهتها: «الجنة مفتوحة لمن يقرأ». فهو يؤمن أنّ الحياة عبارة عن كتب وحفنة أصدقاء، وأنّ المال وسيلة. لتُشير شخصيته بذلك إلى المثقف التقليدي لجيل الستينيات، الذي آمن بالقيم الرفيعة والمبادئ الأصيلة.

بعد مشاورة خاله، تقدّم عزيز برفقة صديقه مهند لدراسة المسرح في كليّة الفنون، حيث التقى حُبّ حياته «تمارا»، الصبيّة المنحدرة من عائلة غنيّة. بدأت بينهما قصّة حُبّ رومانسيّة، جُوبهت بالرفض من قبل أهلها، بسبب الفارق الطبقي، ومرّت بكثير من المعاكسات قبل أن تُكلّل بالزواج، بعد مساعدة من الخال بإيجاد وظيفة لعزيز، لا علاقة لها بالفن والمسرح والكتب: «موظّف أرشيف»، وفي ذلك رمزٌ لضياع مستقبل جيل بأكمله، استحقّ لقب «جيل الخيبة»، في بلد احترف ليس فقط القتل المعنوي لشبابه، بل لأطفاله، نتيجة ظروف غير إنسانية غلّفته، إثر حصار استمرّ لسنوات، عقب حروب متتالية، ما جعل من فكرة الزواج وبناء أسرة جريمة بحق الأبناء. كيف لزوجَين أن يُنجبا طفلاً، حتّى وإن كان ذلك ثمرة حُبّ عاصف، في بلد يُعاني نقص الطعام والأدوية، وفقر المشافي والأسواق؟ يطرح جرجس هذه الفكرة برمزيّة عالية، عبر إجهاض تمارا مرتين متتاليتين نتيجة ظروف المعيشة السيئة.

وهذا بحدّ ذاته رمزيّة لوأد الحب تحت وطأة العوز والفاقة، الفكرة التي تجسّدت في فراق الزوجين، بعدما نجح الحمل والإنجاب، لكن خُطف الطفل، وفقاً لحجة اختارها جرجس، ليكون الهدف تسليط الضوء على ظاهرة خطف الأطفال، وتجارة الأعضاء الرائجة حينها.

وبتشبيه ذكي، يختار جرجس أن يُكنّي هؤلاء الأطفال بالفراشات، فالطفل الذي يُولد، ويمضي صوب نور الحياة بخفّة فراشة، يحترق حتّى لو نجا من الموت الحرفيّ، ليكون نصيبه الموت المجازي في بلد يدفن مستقبله وأطفاله في وادي الفراشات، قبل أن تكتمل أحلامهم، أو قبل أن يُدركوا حتّى أنّه ثمّة أحلام.

وادٍ قادت المصادفة عزيزاً إليه، حين أصبح سائق تاكسي، بعد خسارته عمله كموظف أرشيف، بسبب ادّعاء عشيقة المدير، أنّه أساء الأدب معها، ليُشير جرجس بذلك إلى الفساد الذي ضرب مفاصل المؤسسات... ثمّ خسارته لعمله في مكتبة خاله، ودخوله السجن، بعدما طالته حملة أمنيّة، ووجدت لديه كتاباً محظوراً بعنوان «جمهورية الخوف»، شجعه على طباعته صديقه مهند، مؤكداً أنّ ذلك سيُضيء الكثير إلى ميزان حسناته. ويمثّل مهند الشخصية البراغماتية، المؤمنة بمبدأ «الغاية تُبرّر الوسيلة». لذلك لا ضير في أن يشجع عزيز أيّام الدراسة على العمل في بيع أشرطة الأفلام الإباحيّة، ثمّ أن يتحوّل إلى داعية دينية، ليُشير بذلك جرجس إلى مدة صعود المد الديني، وتوغله في المجتمع العراقي. تتحوّل هذه المصادفة إلى نقمة، حين يُتّهم زوراً بتجارة الأعضاء، ليعود إلى السجن مجدّداً، وقد خسر كلّ شيء، باستثناء خاله جبران: نصيبه في الميراث، والدته التي توفّت، طفله سامر، زوجته، عمله، صديقه مهند، إيمانه بالعراق، وحياته.

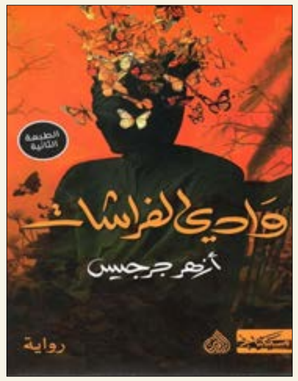

إضاءة على ظاهرة خطف الأطفال وتجارة الأعضاء

«وادي الفراشات» رواية عن ديستوبيا العراق، تستعيد عبرها صرخة فيروز عندما غنّت في نهاية مسرحية «بترا» للأخوين رحباني: «بحرب الكبار شو ذنب الطفولة؟ بحرب الكبار شو ذنب الضحكات الخجولة؟ قوليلي.. يا زغّيرة وين رحْت... يا لفتة نحيلة... يا دمعة بخيلة... قوليلي». وكانَ جرجس يُجيب الأيقونة فيروز: إلى وادي الفراشات!

قصة

ساري موسى: الموت بطلاً للحكاية

مهدي زلزلي

ثمّة متعة خاصة في قراءة المجموعات القصصية التي تربط بين قصصها ثيمة واحدة، خصوصاً حين يجيد كاتبها اللعب ضمن هذه المساحة المحدودة، منوّعاً حبكاته، ومتجنباً التكرار والاستنساخ أو حتى التشابه.

في «ساحة الولادة» (دار الآداب ـ 2024)، المجموعة القصصية الثانية لساري موسى بعد «تعزيلات الفشل» (دار التكوين ـ 2021)، يفاجئك الموت الذي يشكّل موضوعاً مشتركاً بين القصص جميعها، خلافاً لما يوحي به العنوان المخاتل. يحضر الموت بأشكال عدّة تتنوّع بين الموت الطبيعي، والقتل عمداً أحياناً، أو عن طريق الخطأ الأشبه بالعبث غالباً، وموت المكان، أو حتى موت العدالة.

وللقصة الأولى «انبعاث القرية» عنوان مراوغ أيضاً يمنح القارئ أملاً كاذباً، فالانبعاث المؤقّت هنا ليس إلا وهماً يعقبه موت أكيد. تستعيد القصة مأساة الأرياف العربية ومعاناتها من السياسات الخرقاء التي قضت على الزراعة فيها، ونشاهد كيف يئد الحالمون أحلامهم بأيديهم حين تولد مشوّهة قبل أن يعاينوا موتها مرة ثانية.

أما في القصة الثانية «أنا صغير... لن أموت»، فيأخذنا الكاتب إلى عالم الأطفال الذي خبرناه جميعاً، حيث لعبة كرة القدم التي لا تنتهي قبل الغروب إلا على وعد بالسماح بمشاهدة مباراة أخرى ضمن دوري الأبطال الأوروبي، قبل أن ينقلنا فجأة إلى حدود اللعب والتحرّر عبر الفن، ما يمنحها عمقاً فكرياً ووجدانياً يترك أثراً في القارئ حتى بعد انتهائها.

كما يتذكر بيننا يغالب نعاسه على الإسفلت. تأخذنا العبارة سريعاً إلى جرح طازج تمثل في «مذبحة أطفال» حصلت على مرأى من العالم العاجز أو تعجبه، فوق كرة أرضية غير عادلة لا تعطي الفوز لمن يستحقه، حافرةً في شأن الرصاصة التي لا تنطلق من مسدس جدّه.

ويمكن وصف «إسكات البكاء» بالقصة النموذجية، وإن كان الوصف غير بعيد عن بقية قصص المجموعة، حيث الصدمة والإيجاز في الجملة الافتتاحية كما في تلك الختامية، وبينهما ينقل الراوي إلينا بمنتهى التكثيف وبسرد مشوّق، حكاية فيكتور، الطفل البدين الذي يستوطن القلب بسهولة. حكاية قتل عن طريق الخطأ تحمل ــ بغير افتعال، وربما بغير تعمّد من كاتبها ــ رسالة إلى القارئ عن خطورة بعض الألعاب الإلكترونية كما عن خطورة الإهمال في إبقاء أسلحة الصيد في متناول أيديهم.

وفي «أردتُ تسميم بوتشي فقط»، بحضر الموت بشكل آخر من أشكال القتل عن طريق الخطأ يبدو واضحاً من العنوان، مع تنويع أيضاً في السياق وفي هوية الضحايا وعددهم، بينما يطل الموت في «العاثر والعصا» بوصفه وفاة طبيعية غير مؤكدة لاثنين من ثلاثة أشخاص انشغل الراوي بمراقبتهم مدة من الزمن، لكن هذا الموت لا يتوقف عن كونه مؤلماً، خصوصاً مع النهاية المفتوحة التي تبقي اختفاء الثلاثة سراً من الأسرار.

ومن مفارقات المجموعة أنّ أقوى قصصها من الناحية الفنية، وأكثرها تأثيراً في نفس القارئ، ترتبط بموت حيوان لا إنسان، وهو هنا ليس قطاً أليفاً دهسته سيارة مسرعة، بل حيوان يُراوح تعامل البشر مع مقتله بين الاحتفاء واللامبالاة في أحسن الأحوال، لكن ساري موسى ينطلق في «الوحش» من فكرة أنّ لكل مخلوق اسماً وعائلة وحكاية وأحلاماً، صانعاً برهافة شديدة وحرفية عالية حكاية تبقى في ذهن القارئ طويلاً وتدفعه إلى التفكير طويلاً قبل إطلاق رصاصة على مخلوق لم يشكل تهديداً مباشراً له.

قصة «الوحدة الأخيرة» تتمرّد على الموت عبر روح أبي يوسف التي تظلّ تحوم في المكان الذي أحبه ولأزمه لسنوات طويلة، ولا تغيب إلا بانطفاء الشمعة التي قدّمها من كل قلبه للراوي الذي كان يستأجر غرفة لديه.

بطلة قصة «مشكلة صغيرة» هي المفارقة، «المرحوم» فيها هو العدالة، والقاتل هو المؤتمن على صونها. أما «الشاب الذي لم يميّز صوت الله»، فبطلها طالب جامعي يعيش بعيداً عن أهله وضيعته في غرفة واطئة تحت الرصيف، ويتأخر في فهم إشارات متتالية تصله رغم إيمانه بأنها اللغة التي يتكلم بها الله مع البشر.

وفي «صيد ذاك الفجر» عودةٌ إلى القتل عن طريق الخطأ، بشكله الأكثر شيوعاً ضمن رحلة صيد جماعية. ولا يبدو اختيار الكاتب أن تكون «ساحة الولادة» القصة الأخيرة في الكتاب عبثياً، فهي إن كانت تروي بدورها حكاية أخرى من حكايات موت العدالة بموت اثنين من العتالين في المرفأ قتلاً، واتهام رفيقهم الثالث الذي نجا ظلماً بقتلهم والحكم عليه بالإعدام، فإنها تنتصر للحياة عبر قرار تأخذه زوجة المتهم المظلوم، التي تتناوب وإياه على السرد، وتقرر تنفيذه في ساحة المدينة، وسط الدوار الذي تدلى الجسد فوقه من حبل المشنقة.

تسبق كل قصة من قصص المجموعة رسومات داخلية لرهام إبراهيم التي تولت رسم لوحة الغلاف وتصميمها، وقد نجحت في تحميل هذه الرسومات قدراً كافياً من الترميز، ما جعلها تتشارك مع العنوان في مضاعفة فضول القارئ لمعرفة تفاصيل القصة، من غير أن تكشف هذه التفاصيل قبل أوانها.

وفي الحديث عن المجموعة التي شكّل الموت موضوعها الوحيد، قد لا نجد أدقّ مما أورده الناشر على الغلاف الخلفي، من أن الأمر لا يرجع إلى مزاج شخصي أو ميل تراجيدي لدى الكاتب، إذ إن النجاة هي ما يصوغ حياتنا، بمعنى من المعاني، إذ يجمع الموت بين زمن كتابة القصص في سوريا، في خضم حرب كان القتل فيها شكلاً من أشكال الانتحار، وزمن نشرها في بيروت، في مطلع جولة جديدة من جولات الحرب الأساسية.

ومن مفارقات المجموعة أنّ أقوى قصصها من الناحية الفنية، وأكثرها تأثيراً في نفس القارئ، ترتبط بموت حيوان لا إنسان، وهو هنا ليس قطاً أليفاً دهسته سيارة مسرعة، بل حيوان يُراوح تعامل البشر مع مقتله بين الاحتفاء واللامبالاة في أحسن الأحوال، لكن ساري موسى ينطلق في «الوحش» من فكرة أنّ لكل مخلوق اسماً وعائلة وحكاية وأحلاماً، صانعاً برهافة شديدة وحرفية عالية حكاية تبقى في

لمحات

نور دكرلي

تُعد مجموعة «نظرة خبيرة على أشجار الكرز» للقاصّ السوري نور دكرلي الصادرة عن «مرفأ للثقافة والنشر» عملاً أدبياً يعكس الوجع العميق الذي يعيشه السوريون في ظل الحرب والدمار واللجوء. تتكون المجموعة من 17 قصة، كل منها تحمل في طياتها مزيجاً من الحزن والسخرية والفانتازيا، لتشكل لوحة تعكس معاناة شعب عاش تحت وطأة القهر والموت. يختار دكرلي مزاج الوجع ليكون الخيط الناظم لمجموعته، إذ تنبع من كل قصة آلام مختلفة تتشابك معاً لتشكل صورة كاملة عن الواقع السوري المؤلم.

لؤي علي خليل

أطلقت «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» مجموعة قصصية بعنوان «وفي روايته الأخيرة» للكاتب اللبناني لؤي علي خليل. يستحضر خليل هنا الحكايات التقليدية التي رافقنا عبر العصور من الحكي الشفهي والكتابي، فيفكّك القناعات الراسخة فينا ويعيد سردها بأسلوب معاصر يُعيد اختبار مسلماتنا وبديهيّاتنا الثقافية. يتساءل: ماذا لو رفضت سندريلا الزواج من الأمير؟ ماذا لو كان الجنّ أكثر براءةً من البشر؟ تُعدّ نصوص هذه المجموعة إضافة قيّمة للسرد القصصي العربي المعاصر، إذ تُوظّف الإيجاز البليغ لصياغة نصوص رشيقة تخلو من الزيادات والترهلات السردية من دون المساس بالبنية القصصية وثراء تفاصيلها.

فريدريش إيبرت

تقدم مؤسسة «فريدريش إيبرت» في كتاب «الجيل المحروم» الصادر عن «دار الساقي» دراسة ميدانية شاملة حول أوضاع الشباب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهو استكمال لدراسة سابقة أجريت عام 2017/2016. وقد تم تحديث بيانات البحث في 2022/2021 عبر استطلاع رأي 12,000 شاب وشابة من 11 دولة، إضافة إلى اللاجئين السوريين في لبنان، لرصد التغيّرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي طرأت في العقد الأخير، خاصة بعد «الربيع العربي». يناقش الكتاب تأثير الأزمات مثل كورونا والتغيّرات المناخية على الشباب، ويُحلّل مشاركتهم السياسية والاجتماعية، والتحديات التي تواجههم في تحقيق العدالة والاستقرار الاقتصادي.

يونس الهديدي

تحمل مجموعة «أقرأ أثري على المحو» للشاعر المغربي يونس الهديدي الصادرة عن «دار زمكان» في بيروت تجربة شعرية ذاتية مشحونة بالتناقضات، تتأرجح بين العبث الطفولي في الكتابات الأولى والتشظي في النصوص المتأخرة. تحمل المجموعة بصمة تأملية تستلهم إشراقاتها من الشاعرة السورية سنية صالح، مسترسلة في مشهدية شعرية تتسع لغزو الليل وتطاير الأبواب داخل سماء بلا فجر. وبذلك، تضع هذه المجموعة بصمتها ضمن سلسلة «إشراقات» التي يشرف عليها الشاعر أدونيس، في مشروع يسعى إلى إبراز أصوات شعرية عربية جديدة.

حبيب جعفر

يروي اللبناني النيجيري حبيب جعفر في كتابه «الأوديسة الأفريقية لمهاجر لبناني» (دار نوفل/ هاشيت أنطوان . ترجمة ناهد جعفر) رحلته بين لبنان ونيجيريا، حيث نشأ وتطور في بيئتين مختلفتين. يسرد قصة نجاحه كرجل أعمال، مستعرضاً التحديات التي واجهها في الاغتراب قبل أن يحقق طموحاته الشخصية في نيجيريا. كما يربط بين تاريخ لبنان الحديث والأحداث الكبرى التي شهدتها نيجيريا. بأسلوب غني بالمراجع الأدبية والفكرية، يستشهد الكاتب بأسماء بارزة مثل جبران خليل جبران، أمين معلوف، تولستوي، تشينوا أتشيبي، وولي سوينكا، مسلطاً الضوء على القيم الثقافية المشتركة بين العالمين العربي والأفريقي.

رشا عدلي

تُقدّم الكاتبة المصرية رشا عدلي في روايتها «جزء نائمين من الحكاية» (دار الشروق) عملاً أدبياً متشابكاً يمتزج فيه التاريخ بالفن وعلم النفس، إذ تنسج شخصيات تنبض بالحياة وسط حكايات عن التحدي والخلاص. تنتقل الرواية بين أزمنة مختلفة، من هزيمة 1967 إلى نصر 1973، ما يجعل التاريخ مرآة تعكس الألم والخذلان، لكنها في الوقت ذاته تبرز قوة الإرادة والمواجهة. لا تطرح الرواية قضاياها بشكل مباشر، بل تتركها كرسائل بين السطور، مثل تأثير وسائل التواصل الاجتما

أوراق

الرواية في مواجهة سلطة القارئ

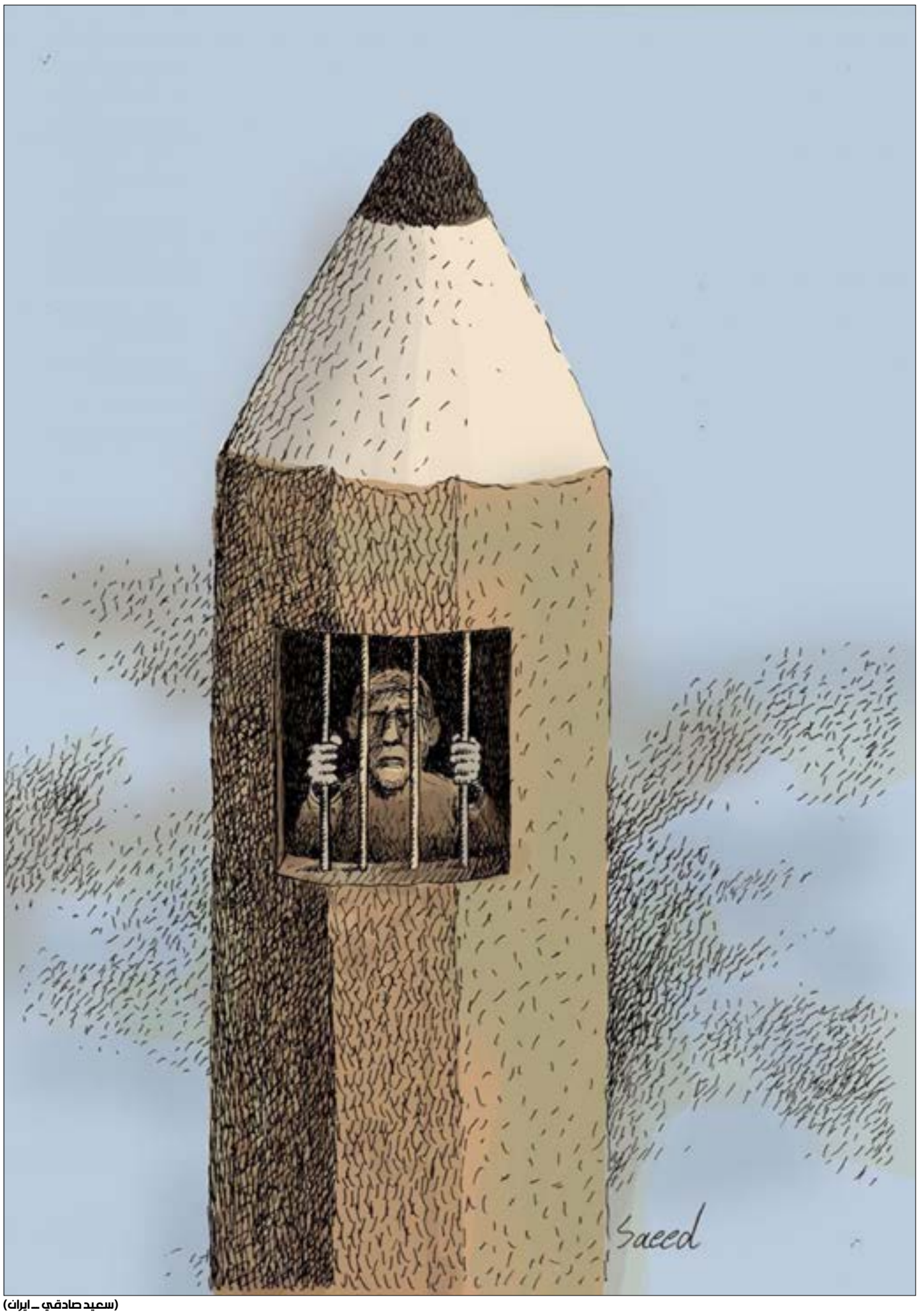

(سعيد صادقي ـ إيران)

إبراهيم فرغلي *

قبل مدة وجيزة وفي إحدى القاعات الأكاديمية في مدينة نيويورك، سدّد شاب، من حضور محاضرة أدبية، عشر طعنات في الوجه والصدر للكاتب البريطاني سلمان رشدي، استناداً إلى تأويل قارئ ـ ليس هو الذي قام بالطعن ـ رأى في رواية «آيات شيطانية» إساءةً للإسلام.

وقبل عقدين تقريباً، في أحد شوارع القاهرة كان هناك ثمة شاب آخر سدّد طعنةً واحدةً أصابت رقبة نجيب محفوظ، مدفوعاً بتأويل «قارئ» ما، آخر، رأى في أعمال محفوظ تهمةً مشابهةً.

هاتان الحادثتان المأساويتان تكشفان العواقب الوخيمة لتحوّل القراءة من عملية تلقٍّ وفهم وحوار مع الأفكار، إلى نوع من «سلطة مطلقة» بيد القارئ، يستخدمها للحكم على الكاتب وأفكاره، فقط لأنها لا تتوافق مع هواه أو معتقداته.

لا تتمثل العواقب هنا في الإصابة البليغة التي هددت رشدي بفقدان بصره أو حياته، ولا حياة محفوظ والمتاعب الصحية التي لاحقته لمدة وأثّرت في قدرته على الكتابة، بل تمتد إلى خلق حالة من التهديد غير المباشر للكُتّاب، ما دفع بعضهم ربما إلى إجراء نوع من الرقابة الذاتية على كتاباته تجنباً للتعرض لمصير مشابه. كما تمتدّ إلى وجود أفراد يدخلون مجال الكتابة وهم ينتمون، ولو من قبيل التعاطف؛ مع التأويلات الدموية التي تحضّ على قتل الكتّاب لمجرد الاختلاف معهم.

هؤلاء الأفراد تسبّبوا في اختلاق تيارات من الكتابة المحافظة، التي أطلق عليها البعض «الكتابة النظيفة»، أي تلك التي تخلو من كل ما قد يتعارض مع قناعات أخلاقية لجمهور يكوّن «كتلة عمياء» من قرّاء معدومي الفردية، بما يتضمنه ذلك من قدرة على فعل القراءة الحقيقي، المكفول كحقّ من حقوق الإنسان المعاصر، بل حتى بين حقوق المتديّن الذي يعرف أنّ أولى الكلمات التي بدأ بها الوحي الإلهي هي كلمة «اقرأ»، لكنه يفضّل التوقف عند جملة «ما أنا بقارئ»، التي صارت نبراساً ودليلاً، بدلاً من الدعوة المقدسة إلى كلمة «اقرأ» بكل حمولاتها الدلالية التي تعني التدبّر والتفكّر وإعمال العقل.

هذه الحالة الغريبة كلّها خلقت عوالم موازية أخرى لألوان من الكتابة الأدبية المباشرة السهلة التي تدغدغ مشاعر القارئ البسيط، ويبدو معها الكاتب كأنه يتملّق القارئ ويقدم كتابته إليه باعتبارها مادةً للتسلية وتزجية للوقت. حكايات تقليدية في خطوط زمنية أفقية، أو استعادة لبعض الأجواء الرومانسية في روايات تعود إلى التاريخ من دون أي أفكار جديدة، أو إعادة إنتاج روايات كلاسيكية منزوعة الفكر.

خطورة هذا النوع من الكتابات إغفالها جوهر الرواية كوسيلة سردية لإنتاج الفكر والمعرفة بكل ألوانها. والتماهي مع مفاهيم مغلوطة تتوهم في السرد مجرد عملية «حكي» مشوّق لأنماط من البشر في مسالكها في الحياة.

المعرفة بمعناها العميق الذي جعل من متون دوستويفسكي بين أبرز أدوات دراسات فرويد في علم النفس، ونجيب محفوظ في إعادة إنتاج تاريخ مصر المعاصر وتأمّله من واقع انعكاساته على الأفراد، وساراماغو في خلخلة المعاني المألوفة في العالم من أجل محاولة فهمها بشكل أكثر عمقاً، وتولستوي في فهم التاريخ بشكل مجرد من منظور مؤرخ غير أيديولوجي، وسارتر في فهم مضامين الوجودية ومعنى الفردية في عالم ما بعد الحروب العالمية، وهرمان هسه في إعادة فهم العالم من منظور روحي أو منظور فلسفي، وغيرها العشرات من نماذج المعارف التي تقدمها روايات عُرف كتّابها بالعمق وبوعيهم بالرواية كمتن سردي معرفي وفكري في المقام الأول.

يخشى الكاتب المتملّق قارئه المتسلّط، فيمتنع عن تجريب أساليب سردية جديدة، وعن تركيب أفكاره، وتغيير إيقاع السرد حتى لا يصاب القارئ بالملل، وعن استخدام ضمائر سرد غير تقليدية حتى لا يشتّت قارئه العزيز.

يبدو لي الأمر أحياناً كأنّ الحياة البشرية بدأت دورة جديدة فعلاً قوامها كُتّاب جدد لم يسبقهم تاريخ من السرد عمره الآن نحو أربعة قرون. أو كأن قراءة الأدب اختراع جديد لم يظهر في العالم إلا في السنوات العشر الأخيرة، كأنّ لا هؤلاء الكتّاب ولا أولئك القرّاء عرفوا شيئاً عن «موبي ديك» هرمان ملفل، أو أعمال فيرجينيا وولف، أو توماس مان، أو بورخس، أو كافكا، أو بول أوستر، أو ميلان كونديرا، أو مايكل أونداتجي، أو محفوظ، أو إميل حبيبي، أو الغيطاني، أو أيّ من رموز التجريب والإضافة غير التقليدية للسرد المعاصر، ومن بينها تجارب عربية كثيرة بطبيعة الحال.

تتعالى صيحات عجيبة بين آن وآخر تقول مثلاً «المجد للحكاية»، أو «الكتابة أصلها الحكاية». كأن الحكايات انعدمت يوماً في أي عمل أدبي؛ سواء مما أشرت إليه من الكتابة المكتوبة لتملّق القارئ، أو حتى أي نموذج من كتابات الكتاب التجريبين الكبار.

من البديهي أن الحكاية، بطبيعة الحال، أصل السرد وجوهره، لكن السؤال هو كيف نحكيها؟ وليس أسلوب الحكي أبداً هو الإجابة عن السؤال كما قد يتصوّر بعضهم، بل تقنيات السرد التي تأتي الحكاية جزءاً من نسيجها. فقد كان ذلك هو الشرط الذي انتقلت به الحكاية الشفاهية بشكلها القديم إلى السرد الحديث بوصفه فكرةً سرديةً تكتسي عظامها بهيئة مخلوقات فنية أدبية، تقوم بتمثيل الفكرة أو تحويلها من الحالة المجردة إلى فكرة فنية مجسّدة في مصائر أبطال النص ومساراته.

هذا التبسيط المخِلّ للمفاهيم بداية من دور القارئ البديهي، كمتلقٍّ فاعل في تأويل النص، وليس صاحب سلطة فوقية، أو من طبيعة السرد بتبسيطه لمجرد «حدوتة»، أو تاريخ السرد الذي يتم التعامي عنه، بينما تطور عبر مراحل عدة انعكاساً لتغيرات اجتماعية وسياسية وقيمية عدة واكبها بتغيرات مثيلة، بل حاول أن يتقدم عليها بمحاولات التنبؤ بالمستقبل.

هذا التبسيط أدى إلى تحوّل سلطة القارئ من وسائل حادة مثل سكين القتلة أو محارق محاكم التفتيش أو فتاوى ممثلي السلطة الإلهية، إلى وسائل أخرى صنعتها الرأسمالية الجديدة مثل تطبيقات «غود ريدز»، التي منحت القارئ سلطة تقييم قوامها عدد من «النجمات»... قوامها ذوق القارئ أياً كانت مرجعيته وتكوينه الثقافي والنفسي، أو وسائل التواصل الاجتماعي، أو جماعات قراءة افتراضية، يمكن أن تستخدم في تكوين «ألتراس» يفخّم ويمجّد نوعاً من الكتابات أو كتّاباً بعينهم بشكل متفق عليه. كما يمكن استخدام هذه الأسلحة في الإيحاء بسوء كتابات أخرى لأسباب لا علاقة لها بالقراءة أو الفن، ولا تخرج عن منطق الوصاية التي تظلّل «سلطة القارئ» المستحدثة.

وهنا يأتي دور الرواية الحقيقي، مرة أخرى، أن ينبهنا لخطورة رأس المال الذي يحارب القيمة دائماً لمصلحة المكاسب والمنافع. دور الرواية الحقيقي هو كشف «الكليشيهات السردية» المكررة من جهة، وفضح دور الرأسمالية في تخريب الأدب والسرد. قد يطول الوقت الذي يقتضيه عمل مماثل أو يقصر، لكنه سرّ استمرار فن الرواية منذ أربعة قرون وإلى اليوم.

* كاتب وروائي مصري